

الروعي

جامعية - فكرية - ثقافية
جمادى الثاني ١٤٣٧ هـ آذار/تيسان ٢٠١٦ م

- في مواجهة مشروع الهيمنة الغربية، مشروع «الخلافة على منهاج النبوة» أم مشروع «عودة الشرعية»؟
- النهضة تقوم على الأساس المبدئي
- الوجود العثماني في اليمن بين ترحيب فئة من أهله وانكار أخرى
- واهٍ لريح الخلافة نجدُها دون الغوطة بالشام
- مسلمون أم إسلاميون
- ارتباط العبادات بالزمن في الإسلام (٣) - الحج-

محور الممانعة فنّ سياسيٍّ استعماريٍّ، وتركيبةٌ خبيثةٌ بصياغةٍ أميركيةٍ بحثةٌ

صفحة

٣ محور الممانعة فنّ سياسيّ استعماريّ، وتركيبية خبيثة بصياغة أميركية بحتة

في مواجهة مشروع الهيمنة الغربية: مشروع «الخلافة على منهاج النبوة» أم

٨ مشروع «عودة الشرعية»؟

بقلم: شريف زايد-مصر

١٢ النهضة تقوم على الأساس المبدئي

بقلم: فهد سعيد الزيلعي - اليمن - صنعاء

٢١ الوجود العثماني في اليمن بين ترحيب فئة من أهله وإنكار آخر

بقلم: المهندس شقيق خميس- اليمن - صنعاء

٢٧ وإه لريح الخلافة نجدّها دون الغوطة بالشام (خطبة جمعة)

بقلم: أبو حنيفة - الأرض المباركة فلسطين

٣١ مسلمون أم إسلاميون

بقلم: أبو راتب- الخليل

٣٣ ارتباط العبادات بالزمن في الإسلام (٣) -الحج-

٣٦ أخبار المسلمين في العالم

٤٠ مع القرآن الكريم

٥٠ رياض الجنة

٤٥ فيهداهم اقتده: النعمان بن مقرن المُرني ﷺ

٤٨ حدائق ذات بهجة

٥١ أوباما يضع النقاط على الحروف بشأن علاقته بأوروبا والإسلام!

٥٢ ديلي بيست: هذه خطة أوباما (الخطة باء) لتقسيم سوريا

مجلة الوعي تصدر كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم "١٦٦" صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٥/١١/١٩٨٩

ثمن النسخة	
لبنان: ١.٠٠٠ ل.ل	اليمن: ٣٠٠ ريال
أمريكا: ٢,٥ \$	كندا: ٢,٥ \$
بريطانيا: ١ £	سويسرا: ٢ فرنك
أستراليا: ٢,٥ \$	ألمانيا: ٢,٥ يورو
بلجيكا: ١ يورو	النمسا: ١ يورو
باكستان: ١ \$ أمريكي	السويد: ١٥ كرون
	الدانمرك: ١٥ كرون

إلى السادة الكتاب

• يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في "الوعي" دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.

• لا تقبل "الوعي" إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها وإلا فعلى الكاتب ذكر المصدر.

• ل "الوعي" حق تصحيح المواضيع المرسلّة، وهي غير ملزمة بإعادة المواضيع التي لم تقبل للنشر.

• نرجو ترقيم جميع الآيات القرآنية ووضع خط تحتها ونحت الأحاديث النبوية الواردة في المقالات وتخرجها.

للمراسلات subjects@al-waie.org

كلمة الوعي (صفحة ٣)

محور الممانعة فنّ
سياسيّ استعماريّ،
وتركيبة خبيثة
بصياغة أميركية بحتة

جامعية - فكرية - ثقافية

الوعي
al-waie.org

بسم الله الرحمن الرحيم

محور الممانعة فنّ سياسيّ استعماريّ

وتركيبةٌ خبيثةٌ بصياغةٍ أميركيةٍ بحثة

في لقاءه بالرئيس السوفياتي الأسبق «ستالين» في طهران إبان الحرب العالمية الثانية، صرح رئيس الوزراء البريطاني الأسبق «وينستون تشرشل» بقوله: إنَّ الحقيقةَ ثمينَةٌ لدرجةٍ أنه لا بُدَّ من حمايتها غالبًا بحرسٍ من الأكاذيب... وقد صدق الرجلُ وهو كذوب، حيثُ إنه ينطقُ بلسانِ حالِ الدولِ الاستعماريةِ كُلِّها، ولا غرابةَ في سلوكِ هذهِ الدولِ السياسيِّ المُغطَّى بالأكاذيبِ تضليلًا للشعوبِ لتمريرِ المخططاتِ والمؤامراتِ، فتاريخُ دعاةِ التحررِ غاصَّ بالحوادثِ السياسيةِ التي كانت تُبطنُ أمورًا خفيّةً لا أقولُ على الدهماءِ من الناسِ وحسب، بل خفيّت على كثيرينَ ممن يتناولون الأحداثِ السياسيّةَ يوميًا في صحفِهِم وعبرَ إذاعاتِهِم وعلى فضائياتِهِم... وإذا كان ما ظهرَ منها كفيلاً بصرفِ أنظارِ الشعوبِ عن حقيقةِ تشرشلِ الثمينة؛ فإنَّ ما خفيَ أعمقُ تأثيرًا وأكثرُ تضليلًا.

إيرانُ وسوريا وحزبُهُما محورُ اصطُحَّحَ على تسميتهِ محورِ الممانعة، وقد راجَ استخدامُ هذا المصطلحِ في كلِّ الأوساطِ الدبلوماسيةِ خلالَ العقودِ الأخيرة، حيثُ أظهرت أميركا أطرافَ هذا المحور - إيرانِ الثورةِ الإسلاميةِ وسوريا بقيادةِ العلويين وحزبِ الله في لبنان - بمظهرِ العدوِّ اللدودِ لها... فأمرِكا شيطانُ أكبرِ ودولةٌ إمبرياليّةٌ استعماريّةٌ... و(إسرائيل) غُدّةٌ سرطانيّةٌ... وتحريرُ القدسِ هو الغايةُ...

لم يكن عسيرًا على صانعِ الاستراتيجياتِ الأميركيِّ أن يمتطي صهوةَ العمامةِ شبه المعصومةِ التي بلغت منزلةَ ولايةِ الفقيه، وهو الذي يعلم كيف طعنت الدولة الصفويّةُ الخلافةَ العثمانيةَ في ظهرها عندما كانت الأخيرةُ مشغولةً بذروةِ سنامِ الإسلامِ لفتحِ أوروبا من قبل! ولم يكن عسيرًا عليه أيضًا أن يستثمرَ العلويين، وهم الذين مكّنوا فرنسا ديغول من سوريا تنفيذًا لقراراتِ سايكس بيكو الذي غنمَ ميراثَ الخلافةِ العثمانيةِ العظيم.

مع اشتعالِ جذوةِ الحربِ الباردةِ بين أميركا والاتحادِ السوفياتي، وسيطرةِ الحزبِ الشيوعيِّ الأفغانيِّ على السلطةِ في أفغانستان، واقترابِ الدُّبِّ الروسيِّ من المياهِ الدافئةِ المحاذيةِ

محور الممانعة فنّ سياسيّ استعماريّ، وتركيبيةٌ خبيثةٌ بصياغةٍ أميركيةٍ بحتةٍ

لدولِ خَزَانِ الذهبِ الأسود، لم تجد أميركا بُدًا من تَبَنِي ثورَةِ الملالي التي أطاحت بالشاهِ سنة ١٩٧٩م. ومع أن الخميني نفسه - الذي اشترى منزلًا في فرنسا ليستقرَّ به في حالةِ فشلِ ثورتهِ - لم يكن يتوقع نجاحِ ثورتهِ بتلكِ السرعةِ، إلا أن الأمر قد تَمَّ بشكلٍ منسجمٍ مع تحركاتِ أميركا الاستخباراتيَّةِ والعسكريةِ في المنطقة، فقد وقَّع الرئيسُ الأميركيُّ «جيمي كارتر» في تموز/ يوليو ١٩٧٩م توجيهاً يحوِّلُ المخابراتِ المركزيةِ الأميركيَّةِ القيامَ بحملاتٍ دعائيَّةٍ لتثويرِ الناسِ ضدَّ الحكومةِ الشيوعيةِ المواليةِ لموسكو في أفغانستان، كما خذلت أميركا الشاهَ رغمَ تعهُّداتها بالدفاعِ عنه، فقد ذكر سفير أميركا في إيران وقتئذٍ «ويليام سوليفان» بأن مستشارَ الأمنِ القوميِّ الأميركيِّ «زيبغينو بريجنسكي» أكَّد للشاهِ مرارًا وتكرارًا أن أميركا تدعمهُ بالكامل، وأنها ستدعمهُ حتى النهاية... لكنَّ سياسةَ البيتِ الأبيضِ كانت على النقيضِ من ذلك، حيثُ قرَّرَ أن على الشاهِ أن يرحل حتى لو كان ذلك إلى الجحيم، هذا مع علمهم أن الذي سيحلُّ مكانه هو صاحبُ العمامةِ الولي الفقيه! كذلك أربكت أميركا الموقفَ داخلَ الجيشِ الإيرانيِّ وسلَّتهُ عن اتخاذِ أي تحركاتٍ تحولُّ دونَ استتبابِ الأمرِ للخميني، حيث ألغى الرئيسُ الأميركيُّ «كارتر» قرارَ إرسالِ حاملَةِ الطائراتِ «يو أس-كونستليشن» بالتوجُّهِ إلى المحيطِ الهنديِّ لدعمِ الشاهِ بعد أن أعطى أمرهُ بذلك، كما عارضَ كارتر دعمَ انقلابِ الجيشِ على الثورة، فتداعت القوى التي يعتمدُ عليها الشاه، وبدأ الخميني يستأصلُ كبارَ الضباطِ في الجيش، وأعدَمَ أكثرَ من مئتين من مسؤولي الشاهِ الأمنيين؛ ما أدى إلى انهيارِ النظامِ الملكيِّ بالكامل، وإلى سيطرةِ الخميني وأتباعه على البلاد. ولتمريرِ المؤامرةِ وإخراجها مخرجًا يُعَمِّي الارتباطَ بين أميركا والخميني، كان لا بُدَّ من تلميعِ شخصيةِ الخميني، فقد أبرزت حادثةُ اختطافِ أفرادِ السفارةِ الأميركية في طهران نظامَ الخمينيِّ كمعادٍ لأقوى قوَّةٍ استعماريةٍ في العالم.

ومع وصول الرئيس الأميركي «ريغن» إلى البيت الأبيض، ردَّ الخمينيُّ الجميل الذي منحتهُ إياه أميركا كرجلٍ ليسَ بَزَّةِ العداءِ والمناوأةِ للدولةِ الأولى في العالم؛ وذلك حين قام الخمينيُّ نفسه بإصدارِ قرارِ إطلاقِ سراحِ موظفي السفارةِ الأميركية الذين تَمَّ اختطافُهُم في إيران، ومع اشتعالِ الحربِ الإيرانيةِ العراقيةِ، عقدت أميركا في عهد «ريغن» اتفاقًا مع إيران لتزويدها بأسلحةٍ متطورةٍ فيما عُرف لاحقًا بـ«فضيحةِ إيران كونترا». وقد تَمَّ هذا الاتفاقُ مقياضةً تحصلُ إيرانُ بموجبِهِ على الأسلحةِ الرادعةِ لعراقِ صدامِ حسين، لقاءً مساهمةِ إيرانِ بإخلاءِ سبيلِ خمسةٍ من الأميركيينِ المحتجزينَ في لبنان وقتئذٍ، وقد عقدَ جورج بوش نائبُ الرئيسِ رونالد ريغن هذا الاتفاقَ سنة ١٩٨٥م عند اجتماعهِ برئيسِ الوزراءِ الإيرانيِّ أبي الحسن بني صدر في باريس بحضورِ المندوبِ عن المخابراتِ (الإسرائيلي) - «آري بن ميناشيا» والذي كان لهُ

دورٌ في نقل تلك الأسلحة عبر إسرائيل إلى إيران، وهكذا أنجزت إيران الخميني لأميركا مصالح استراتيجيةً جديرةً بقبول الثانية إطلاقاً حكام إيران الجعجاتِ دون أن تتجاوز حناجرهم.

وبذلك تكون أميركا قد تخلصت من نظام رضا بهلوي الذي نصّبته بريطانيا شاهًا على إيران إبان الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤١م إلى لحظة خلعِهِ سنة ١٩٧٩م، وتصدّت للمدّ السوفياتيَّ المندفعِ عبر آسيا الوسطى، كما أجمعت أتون صراعٍ طائفيٍّ مذهبيٍّ بين الشيعة بقيادة إيران التي دعت إلى تصدير نموذجها الثوريِّ إلى بلاد المسلمين الأخرى تحت ذريعة محاربة الشيطان الأكبر... وبين السنة ممثلين بالوهابية السلفية التي أفرزها نظام آل سعود، وفي ذلك صرفٌ لأنظار المسلمين عن التفكير بدولة الخلافة باعتبارها جامعةً لشتات الأمة بجميع مذاهبها الفقهية المعتمدة، أضف إلى ذلك فرض أميركا وصايتها على دول الخليج التي ارتعت من البعبع الإيراني بعد أن جعلت أميركا منه فزاعةً أرهقت المنطقة بمناكفات إقليمية ومشاكسات وهمية.

على الجانب الآخر في سوريا، كانت أميركا تُنصّب آل الأسد العلويين حكاماً عليها، بعد سلسلة من الانقلابات العسكرية التي كانت تُبقي النفوذ الإنجليزي على سوريا تارةً وتأتي بالهيمنة الأميركية عليها تارةً أخرى، فكان الحسم لصالح الهيمنة الأميركية على يد حافظ الأسد وزير دفاع الجيش العربي السوري الذي سلّم الجولان لكيان يهود! وبهذا تكون أميركا قد نجحت في مدّ الجناح الثاني لمحورها الممانع، ثم اكتمل المشهد بإنشاء حزب إيران ذيلًا لهذا المحور.

استثمرت أميركا موقع سوريا الإقليمي وتأثيرها على المنطقة إما استثماراً، فقد تفانى آل الأسد الوالد والولد في خدمة أميركا تحت شعار محاربة الإمبريالية الأميركية، فمن تحالف حافظ الأسد معها في حرب عاصفة الصحراء على العراق عام ١٩٩١م، إلى تحالف ولده معها في الحرب على الإرهاب، ومن المحافظة على أمن يهود خلال أربعين سنة لم تُطلق فيها رصاصة واحدة على الكيان المسخ من جهة (الأسد) إلى ردع هذا الكيان وتحجيمه انسجاماً مع حلّ الدولتين الأميركيين، أضف إلى ذلك شراكة النظام السوري مع إيران لضبط إيقاع الوضع الذي تأزّم على أميركا بعد احتلالها للعراق عام ٢٠٠٣م، وذلك تنفيذاً لتوصيات «بيكر هاملتون» ولا ننسى تلزيم لبنان لسوريا لطرده النفوذ الفرنسي والإنجليزي من لبنان، وفرض الوصاية الأميركية عليه بالوكالة التي بدأت عام ١٩٧٥م، واستمرت حتى مقتل الحريري وجبران تويني وغيرهم من الرموز القوية المعارضة لبشار بن أبيه عام ٢٠٠٥م.

مُحور الممانعة فَنَ سِياسِىِّ اسْتِعماريِّ، وَتَرْكِيبَةُ خَيْبَةُ بصِياغَةِ اميرِكِيةِ بَحْتِةِ

أعلنت أميركا حربها الصليبية على الإرهاب على إثر هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ م. ومع تَوَرُّطِها في المُستتفِعينِ الأفغانِ والعراقيِّ، كانت إيرانُ المنقذَةُ لأميركا من ورطتها، فقد صرَّحَ «هاشمي رفسنجاني» في بون بألمانيا سنة ٢٠٠٢ م بالدورِ الإيرانيِّ المخزي في تخليص أميركا من مستنقعِ أفغانستان. وفي العراقِ ما إن وجدت أميركا نفسَها هائمةً بينَ ضرباتِ المقاومةِ العراقيةِ، كانت كلمَةُ الفصلِ عندَ ولايةِ الفقيهِ التي ثَبَّتتَ الحَلَّ السِياسِىِّ في العراقِ، والذي يقضي بتقسيمه طائفيًا شيعيًّا وسنَّهً وأكرادًا على عينِ وبصيرةِ صاحبةِ المهماتِ الصعبةِ إيرانِ، بعد أن كادت أميركا تفقدُ عِزَّةَ الدولةِ الأولى في العالمِ على أيدي جماعاتٍ جهاديةٍ أفغانيةٍ وأخرى عراقيةٍ.

وبهذا يتبيَّنُ لِكُلِّ ذي لُبِّ أنَّ ما سُمِّيَ بِمُحورِ الممانعةِ كان ولا يزالُ الحارسَ الأمينَ على مصالحِ أميركا في المنطقةِ، تفانى مَرَدُّهُ في خدمةِ الشيطانِ الأكبرِ الإمبرياليِّ الاستعماريِّ كأحسنِ ما يرغبُ السَيِّدُ من عبيده، وبالمقابل فإنَّ أميركا لم تنسَ فضلَ هؤلاءِ العبيد؛ لذلك دأبت أي أميركا على المحافظةِ على هذا المحورِ وثباته أمامَ الزوبعاتِ التي كانت أوروبا وكيانُ يهودِ يُثيرونها في وجهِ إيرانِ تحديداً، وأعني بذلك زوبعةَ الأسلحةِ النوويةِ وامتلاكِ إيرانَ لها، ومن ثَمَّ المطالبةُ بالعقوباتِ الدوليةِ عليها، بل وتلويحُ كيانِ يهودِ بالعملِ العسكريِّ ضدَّ إيرانِ، ومن ذلك:

*- سعت أميركا إلى تجنيدِ إيرانَ أيَّ ضرباتٍ عسكريةٍ أوروبيةٍ عموماً و(إسرائيليةٍ) بشكلٍ خاص، لدرجةِ أن ستةَ عشرَ جهازًا استخباريًا أميركيًّا أعلنَ في كُلِّ من عام ٢٠٠٧ م و ٢٠١٠ م عدمَ وجودِ أيِّ تهديدٍ نوويٍّ من قِبَلِ إيرانِ.

*- عَصَّتْ أميركا الطرفَ عن بطشِ النظامِ الإيرانيِّ بالمتظاهرينَ عِقَبَ ما سُمِّيَ بالثورةِ الخضراءِ عام ٢٠٠٨ م، عندما ثارَ هؤلاءِ بالملايينِ تأييدًا للمرشِّحِ الإصلاحِ ضِدَّ مرشِّحِ النظامِ أحمدِ نجاد.

*- واليومَ تتجهُ العلاقاتُ بينَ الشيطانِ الأكبرِ وإيرانَ «محورِ الشرِّ حسبَ تصنيفِ بوش الابن» نحو اللِّعَبِ على المكشوفِ. ففي كلمةٍ له - الأحد ١٧ يناير/كانون ثاني ٢٠١٦ م، قال الرئيسُ الأميركيُّ باراك أوباما إثرَ دخولِ الاتفاقِ النوويِّ بينَ إيرانَ ودولِ (٥ + ١) حَيِّزَ التنفيذِ: إنَّ المقاطعةَ الدبلوماسيةَ معَ إيرانَ لم تخدمِ المصالحَ الأميركيةَ، وكموضةً لأوروبا وكيانِ يهودِ قالَ أوباما: إنَّ إيرانَ بموجبِ هذا الاتفاقِ لن تحصلَ على السلاحِ النوويِّ، مؤكِّدًا أنَّ الاتفاقِ

مع إيران جعلَ العالمَ أكثرَ أمناً، في حينِ رَحَّبَتِ إيرانُ بالاتفاقِ بل واعتبرتهُ نصرًا، فقد دعا الرئيسُ الإيرانيُّ «حسن روحاني» - الذي وصفَ الاتفاقَ بالنصرِ المجيد - المستثمرينَ الأميركيينَ إلى الاستثمارِ في بلاده، وناشدَ دولَ العالمِ بالاستثمارِ في بلاده، وبذلكَ تكونُ أميركا قد أعتقت ربيبتها إيرانَ من قيودِ العقوباتِ الدوليةِ، بل وألزمت أوروبا والأمم المتحدةَ بالاعترافِ بها.

*- أما بالنسبةِ لنظامِ بشارِ بنِ أبيه، فإنَّ إطلاقَ يدهِ بالقتلِ والتدميرِ والتنكيلِ على مدى خمسِ سنوات، وسكوتَ أميركا عن هذه الجرائم، بل وإطلاقِ يدِ إيرانَ وحزبها دعماً له وللحيلولةِ دونَ سقوطه، ثمَّ الدفعَ بالدُّبِّ الروسيِّ هو الآخرُ ليقصِّفُ ويُدَمِّرُ ويُهْدُ النظامَ بأسبابِ البقاءِ بعد أن سقطَ أو كاد، وموازةَ ذلكَ بتحركاتٍ سياسيةٍ... ومؤتمراتٍ أولى وثانيةٍ وثالثةٍ... وبينَ هذه وتلكَ أموالٌ تتدفَّقُ لشراءِ الدِّمَمِ الرخيصة، وأدوارٌ تركيةٌ أردوغانيةٌ وأخرى سعوديةٍ... كُلُّ هذا وغيره إنما يصبُّ في اتجاهِ تمسُّكِ أميركا بنظامِ البعثِ العلويِّ، آخرِ معاقلِ العلمانية، إلى حينِ الاستقرارِ على وضعٍ سياسيٍّ يُرضي أميركا ويحافظُ على مصالحها في المنطقة، ولكنَّ أميركا، سواءً أفقَها أم لم تفقهه بعد، فالقطارُ فاتها، وأوشكَ الزمانُ أن يستديرَ عليها وعلى سائرِ أشياعها من الكفارِ والعملاء.

كلمةٌ أخيرة: بعد انكشافِ سَوَةِ المحورِ القوميِّ بزعامةِ عبدِ الناصرِ للمسلمين، واتجاهِ الأمةِ نحوَ الإسلامِ كَحَلٍّ لمشاكلها المتباينة، رأت أميركا في ثورةِ الملايِ والعلويينَ وحزبهما حصانَ طروادةٍ لمصالحها في منطقةِ الشرقِ الأوسط، فكانت إيرانُ لأمرِكا العَصْدَ والساعِدَ ولا تزال، وكانَ نظامُ الأسدِ السِّنْدَ المتغطرسَ ولا يزال، وكانَ حزبُ حسنِ نصراللهِ العصاَ المسخَّرةَ ولا يزال! ومع بلوغِ العلاقاتِ الأميركيةِ الإيرانيةِ حدَّ الوثامِ المكشوف، يأتي دورُ المخلصينَ من أبناءِ هذه الأمةِ للأخذِ على يدِ كُلِّ متآمرٍ، والعملِ الحثيثِ لخلعِ العملاءِ على شتى تصنيفاتهمِ وانتماءاتهمِ وولاءاتهمِ، وإسدالِ الستارِ على هذه الحقبَةِ الأليمةِ من تاريخِ الأمة، ومن ثمَّ الإعلانُ الرسميُّ عن وفاةِ النظامِ الدوليِّ الرأسماليِّ الذي ملأَ الأرضَ قتلاً ونهباً، وإعلانُ قيامِ نظامٍ سياسيٍّ حضاريٍّ ربَّاني، نظامِ الخلافةِ الراشدةِ الثانيةِ على منهاجِ النبوة، فتزهرُ الأرضُ بعدلِ الإسلام، وتعودُ الأمةُ إلى سيرتها الأولى، خيرَ أمةٍ أخرجت للناس، تحملُ الخيرَ والأمنَ والطمأنينةَ للعالم. قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلٌّ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾. □

بسم الله الرحمن الرحيم

في مواجهة مشروع الهيمنة الغربية:

مشروع «الخلافة على منهاج النبوة» أم مشروع «عودة الشرعية»؟

شريف زايد-مصر

لا يزال الكثير من معتقلي جماعة الإخوان المسلمين في السجون المصرية- على الأقل الذين التقيت بهم- يصرون وبشكل غريب على فكرة عودة الدكتور محمد مرسي إلى الحكم كشرط أساسي للحديث عن أية مصالحة مع النظام الحالي. يظهر ذلك جلياً في حديثهم المستمر عما يسمونه بالشرعية، ويظهر بشكل أكبر في دعائهم في القنوات من صلاتهم، وفي الكلمات التي يلقيها بعض شبابهم من خلف القضبان... فلا تسمع إلا هذا الدعاء بتلك الصيغة ((اللهم أعد لنا شرعيتنا))، وقد توجهت بالسؤال ذات مرة لأحد شباب الجماعة رفقائي في السجن قائلاً:- هل تظن أن الله سبحانه وتعالى كان راضياً عن الفترة التي قضاها الدكتور مرسي في حكم مصر؟ فقال لي:- لا، فقلت له:- وهل يجوز أن نرفع أكف الضراعة وندعو الله أن يعيد لنا شيئاً هو سبحانه غير راض عنه؟

لقد تحطمت فكرة التدرج في تطبيق الشريعة، التي رفع شعارها الإخوان لفترة طويلة على صخرة الانقلاب الذي أطاح بحلمهم في الوصول إلى الحكم وأستاذية العالم. فكيف يرضى الله سبحانه وتعالى عن تلك الفترة بذريعة أننا كنا ننوي تطبيق الإسلام كاملاً في يوم ما، ولو تركوا النظام على ما كان عليه قبل ثورة الخامس والعشرين من يناير؛ نظاماً جمهورياً ديمقراطياً... نظاماً لا يحكم بما أنزل الله، نظاماً يتحاكم إلى نفس قوانين العهد البائد الذي ثار الناس عليه وتصوروا أنهم أسقطوه بينما هم فقط دحرجوا رأسه لا غير، نظاماً استنسخ دستور ٧١ مع بعض «الرتوش» التي لا تسمن ولا تغني من جوع، ثم وضعه موضع التطبيق باعتباره أفضل المتاح... بل صوره البعض أنه دستور قد خرج من بين دم ورفث لبناً خالصاً سائغاً للشاربين،

— في مواجهة مشروع الهيمنة الغربية: مشروع «الخلافة على منهاج النبوة» أم مشروع «عودة الشرعية»؟ —
نظامًا ما فتىء يردد في كل مناسبة وفي غير مناسبة أنه ملتزم باتفاقية كامب ديفيد مع كيان يهود، بل أكثر من ذلك أرسل رئيسه رسالة حميمية لرئيس كيان يهود شكلت حينها صدمة مدوية. وأنا هنا لست بصدد تعداد خطايا نظام الدكتور مرسي في العام الذي حكم فيه وهي كثيرة ولا شك... ولكن الذي دفعني لعرض نتف منها إبراز خطيئة أخرى يقع فيها الكثير من شباب الجماعة اليوم عندما يرددون ((اللهم أعد لنا شرعيتنا)).

والسؤال الآن؛ هبْ أن تلك الشرعية قد عادت اليوم، فماذا هم فاعلون؟! وليس الفعل المقصود هنا، ماذا هم فاعلون إزاء الظلم الذي وقع على أفراد الجماعة من قبل أمن الدولة أو القضاء أو الشرطة، بل ماذا هم فاعلون بخصوص الشريعة؟... هل يمكن للجماعة أن تستعيد من جديد شعارها «الإسلام هو الحل» الذي استُبدل بعد الثورة بـ «نحمل الخير لمصر»، والذي وُصف من بعض رجالاتها بأنه شعار عاطفي؟! ولا يمكن أن يكون الإسلام حلًّا من خلال تطبيق بعض أحكامه وترك بعضها الآخر، أو من خلال تطبيق بعض أحكامه في ظل نظام جمهوري وترك نظام الخلافة الذي هو نظام الحكم في الإسلام كما دلت على ذلك النصوص الشرعية. وما يجب أن تؤكد عليه الجماعة وتعلنه بكل وضوح أن للإسلام نظام حكم فريدًا ومتميزًا، وهو الخلافة التي تتناقض بل تُضادُّ بالكلية نظام الحكم الجمهوري، أيًا كان شكله، وأن ترفض بكل وضوح النظام الجمهوري وغيره من أنظمة الكفر، ومن ثم يتوقفوا عن الحديث عن عودة الشرعية التي تعني عودة الدكتور مرسي رئيسًا للجمهورية.

ولقد لاحظت أن الإخوان في متابعتهم للأخبار في خارج السجون يراهنون إلى حد بعيد على حالة التردّي الاقتصادي التي يعيشها نظام السيسي بكل تفاصيلها بدءًا من أزمة الوقود ومرورًا، بأزمة الغلاء الفاحش، وانتهاء بأزمة الدولار، وهي أزمات في تصوري، رغم خطورتها لأنها تمس طعام الناس وشرابهم، قد تعصف بحكومات؛ ولكنها لا يمكن أن تعصف بنظام كنظام السيسي الذي يعتمد في وجوده وفي استمراره على رفعه لشعار «محراربة الإرهاب»، وهو الشعار المحبَّب لدى الغرب.

لقد استطاع السيسي أن يقدم نفسه للغرب باعتباره الورقة الرابحة التي يمكن للغرب الاستفادة منها في حربهم ضد «الإرهاب» أي ضد المد الإسلامي في المنطقة.

— في مواجهة مشروع الهيمنة الغربية: مشروع «الخلافة على منهاج النبوة» أم مشروع «عودة الشرعية»؟ —

ومشروع «الحرب على الإرهاب» هو مشروع عالمي كبير يقف الغرب كله فيه على قدم وساق، ويقاوم من أجل أن يحقق فيه نجاحات كبيرة... على الأقل من أجل أن يؤخر عودة الأمة الإسلامية لسابق عهدها (خير أمة أخرجت للناس)، كي تلملم شعنها وتتوحد في ظل مشروعها العظيم مشروع الخلافة الكبير الذي يؤرق الغرب ويقض مضجعه. وهو الخوف الذي دفعه بقوة لتشويه الفكرة في أذهان المسلمين من خلال استغلال ما أعلنه تنظيم الدولة من قيام خلافة مشوهة في وقت كانت الأمة تتلهم لليوم الذي تستظل فيه بظل خلافة راشدة على منهاج النبوة، فإذا بهم أمام خلافة مشوهة يهربون منها ويفرون أمامها بدلاً من أن يفروا إليها زرافات زرافات.

ومن هنا فأنا أنصح كل أبناء التيار الإسلامي بوجه عام، والإخوان المسلمين بصفة خاصة، بأن يلتفوا حول مشروع كبير كبر حجم التحدي الذي يواجهونه، وألا يتقزموا حول فكرة «الشرعية». ففكرة الشرعية وعودتها فكرة ضيقة فضلاً عن كونها محلية تخص أهل مصر، والصراع اليوم لم يعد صراعاً محلياً أو إقليمياً، بل هو صراع عالمي، والمفترض أن يكون بين مشروعين عملاقين، لأن المشروع الذي يقود الصراع اليوم هو مشروع كبير تقوده دولة كبيرة بحجم الولايات المتحدة، وهو يتمثل في فرض الهيمنة الأميركية على العالم، وتسويق الديمقراطية باعتبارها نهاية التاريخ كما كتب فوكاياما في أواخر القرن الفائت. وإن مشروع الخلافة الإسلامية الراشدة على منهاج النبوة هو وحده القادر على الوقوف بقوة أمام الهيمنة الغرب الفكرية والثقافية والاقتصادية والعسكرية على العالم، فهو مشروع الأمة العظيم وهو وعد الله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾، وهو بشرى رسول الله صلى الله عليه وسلم: «...ثم تكون خلافة على منهاج النبوة»، وهو المشروع الوحيد القادر على إسقاط أميركا والغرب بالضربة القاضية. والواجب الآن في تلك اللحظة التاريخية الفارقة أن يلتف حول هذا المشروع كل مخلص، وكل صاحب رأي، وكل من بيتغي مرضاة رب العالمين، وكل من يريد لهذه الأمة الرفعة والنهوض. فهو مشروع نهضتها وتمكينها، ومن خلاله فقط نستطيع أن نتصدى للغرب وأدواته في

— في مواجهة مشروع الهيمنة الغربية: مشروع «الخلافة على منهاج النبوة» أم مشروع «عودة الشرعية»؟ —
بلاد المسلمين.

وليس المطلوب اليوم من الحركات الإسلامية فقط إبراز الدعوة إلى الخلافة كطريقة لاستئناف الحياة الإسلامية، بل المطلوب أن يعلنوا وبكل وضوح أنهم قد نفذوا أيديهم من أسلوب المشاركة الديمقراطية واتخاذها سبيلاً للوصول إلى الحكم، فالمؤمن كَيْسٌ فَطِنٌ، وهو لا يلدغ من جُحر واحد مرتين... وقد لدغوا من ذات الجحر مرات ومرات، في الجزائر وفلسطين ومصر... ومن غير المقبول أن يظل الإخوان في هذه الفترة يرددون نفس النغمة السابقة «مع الديمقراطية ضد الانقلاب» في الوقت الذي داس فيه دعائها على ديمقراطيتهم الزائفة بالأقدام. ولتكن طريقتهم في الوصول للحكم هي طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتي ليس فيها مشاركة أنظمة الجور والكفر والتوافق معها والإيمان بمبدأ تداول السلطة مع العلمانيين وأشباههم، كما وليس فيها اتخاذ العنف أو القتال سبيلاً إلى الحكم.

إن الخلافة وحدها هي التي تحقق النهضة الصحيحة للأمة؛ لأنها منبثقة من الأحكام الشرعية التي تعين للمسلمين النظام الذي يجب أن يُحكموا به، وهذه الأحكام الشرعية منبثقة من عقيدة هذه الأمة، فهي ليست نظاماً مستورداً من الغرب أو الشرق، بل هي نظام حدده الرسول ﷺ وبينه للأمة، وهي ما سار عليه صحابته من بعده.

لقد تأكد للجميع أنه لا بد من طلب النصرة من أهل القوة والمنعة في الجيوش في بلاد المسلمين، ففي النهاية هم من أبناء هذه الأمة الذين يتألمون لما تتألم منه الأمة. فقد ظهر للعيان أن الأمة تحب الإسلام وتحلم باليوم الذي تحكم فيه به، وأن هذا الرأي العام الذي يتشكل للإسلام يحتاج إلى قوة تقف بجواره وتدافع عنه وتمكنه من الوصول إلى سدة الحكم، وتمنع أي قوى خفية من التلاعب بإرادة الأمة وتوجهها نحو الإسلام والخلافة الراشدة على منهاج النبوة التي لاح فجرها وقرب وقت قيامها بإذن الله. ﴿وَيَوْمَئِذٍ يُفْرِحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾

بسم الله الرحمن الرحيم
النهضة تقوم على الأساس المبدئي

الكاتب : فهد سعيد الزيلعي - اليمن - صنعاء

لقد كانت مسألة النهضة ولا زالت من المواضيع الأساسية الشاغلة لأغلب المفكرين والسياسيين والمختصين - فما هي النهضة؟ وكيف تتحقق؟ لماذا نهضت أمة من الأمم؟ ولماذا تنحط وتتخلف أمة من الأمم؟

وهل النهضة مرتبطة بقضية الدين، أم بعلمانية فصل الدين عن الحياة، أم بقضية التكنولوجيا والمدنية، أم بالتشيد العمراني واستعمال الوسائل المادية الحديثة؟ وهل وفرة المدراس والمعاهد والجامعات وكثرة الخريجين وحملة الشهادة العالية في كل المجالات والاختصاصات هو دليل على نهضة البلدان؟ وهل كل بلد يعيش في بجموحة اقتصادية هو بلد ناهض، أم أن كل هذه هي أعراض وثمرات تنشأ وتتطور إذا تحققت النهضة؟

أولاً: النهضة في اللغة مشتقة من فعل نهض أي قام. ومكان ناهض يعني مرتفع. وفي الاصطلاح تعني الرقي الفكري الذي يتصف بالعمق والشمول، فالنهضة هي الانتقال بالفرد والمجتمع والدولة من حال التخلف والانحطاط إلى حال أفضل منه على أساس الفكر المبدئي. فما هو هذا التحول الذي يعبر وجوده عن وجود نهضة في المجتمعات؟ وما المقياس الذي يميز بين إنسان ناهض أو إنسان منخفض؟

وما الفارق بين شعب ناهض وشعب متخلف؟

وقبل الإجابة عن هذه الأسئلة، لا بد أن نجلي الغموض عما يردده الكثير من أن انتشار التعليم وزيادة الثروة ومقاومة المرض هي التي تقضي على أسباب التخلف والعلّة في المجتمعات، وهي الفقر والجهل والمرض، حتى صارت قاعدة أساسية ترسخت في الأذهان، وبذلت في مكافحتها كل جهود وإمكانات الدول، وأعدوا ما استطاعوا من قوة في محاربة الجهل والامية ابتداءً من الحضارة والروضة حتى الجامعة، انتهاءً بملاحقة كبار السن في محو الامية حتى بلغت نسبة الخريجين وحملة الشهادات والماجستير والدكتوراه أعلى بكثير من الشعوب المتقدمة، فماذا كانت النتيجة؟ وهل وقف الانحدار والتخلف.

النهضة تقوم على الأساس المبدئي

النتيجة كانت بهجرة الكثير من العقول وحملة الشهادات إلى الدول المتقدمة لتستفيد منهم. والنتيجة الأخرى كانت الزيادة الهائلة من الموظفين والخريجين الذين غصت بهم الدوائر الحكومية طالبين للوظائف ليعيشوا عليها. وهذا ما اضطر كثيراً من الدول لاستيعاب أكبر عدد ممكن من هؤلاء الخريجين دون الحاجة إليهم؛ ما أدى إلى صرف أموال وإرهاق ميزانيات لدول دون تحقيق أي إنتاج أو تنمية إلا ما ندر، وصارت البطالة مقننة تصل إلى ٧٠٪.

والأخطر من ذلك، أن التعليم لم يرتق ليؤهل موظفين بمنهجية تفكير يتحلون بالنزاهة والشعور بالمسؤولية على مصالح الناس، بل تراهم يلهثون خلف المنفعة الذاتية، إلا من رحم ربي، وقليل ما هم.

وعندما عمدوا لمحاربة الفقر، بحسب قواعد النظام الاقتصادي الرأسمالي، من حرية السوق، وزيادة الإنتاج، والندرة النسبية، وخصخصة المشاريع العامة... فقاموا بإدخال التقنية في كل المجالات الاقتصادية، وأكبوا على دراسة علم الاقتصاد وتنمية الثروة بالخطط الخمسية والعشرية، وأغرقوا البلاد بالقروض في بناء مشاريع البنية التحتية ومشاريع شكلية استهلاكية؛ حتى وصلوا بالبلدان، بواسطة مصيدة البنك الدولي، إلى أن تصبح مسلوبة الإرادة، يتحكمون بمصير الشعوب، ويبتزون ثروات وخيرات الدول الفقيرة بفرض سياسة الإفقار والتجويح؛ وصارت توجد أزمات وأعباء على كاهل المجتمعات والدول في هذه البلدان، وبهذا نكون كأننا نضع العربة أمام الأحصنة (الترويكة) برغم ما حباه الله لنا من وفرة الموارد والثروات الطبيعية من النفط والغاز والمعادن والزراعة والثروة الحيوانية والبحرية، وبرغم كثرة الأيدي العاملة وحملة الشهادات في كل الاختصاصات والمجالات. وما زلنا نهوى إلى الحضيض، ونسمى بالعالم الثالث والدول النامية أي المتخلفة؛ ولهذا نجد أن هذه الظواهر والأعراض وجدت عندما غابت الأسس والقواعد في بناء النهضة؛ لأنها هي الركائز الضرورية في تقدم الدول. إذًا فإن المشكلة الحقيقية تكمن في غياب البحث عن الأسس التي تقوم عليها النهضة وهي الآتي:

١- الإنسان: النظرة العميقة للإنسان بكونه إنساناً يعيش في هذا الوجود.

٢- الأساس المبدئي: عقيدة عقلية ينبثق عنها نظام.

٣- المجتمع: المكونات الأساسية التي تشكل المجتمع.

٤- الدولة: هي الكيان التنفيذي الذي يعبر عن قناعات الناس وتقودهم نحو النهضة.

الإنسان هو محور بحثنا في هذا الوجود؛ فكان لا بد من معرفة ماهيته وخصائصه، ومعرفة الباعث على أعماله وتصرفاته والمسبب لها، ومعرفة مدى انضباط سلوك الفرد وانسجامه مع سلوك الجماعة. فالمتأمل في حياة الإنسان الذي احتوى الكون في تكوينه وما فيه من حياة، يختلف عن غيره من المخلوقات بصفات وخصائص اختصه الله بها من عقل، وما وهب له من إدراك وإرادة. فهو منذ أن يولد إلى أن يموت في حركة دائمة، وتراه مشغولاً في تأمين حاجاته وسد جوعاته وإرضاء رغباته؛ فنجدته يحافظ على نفسه ويدافع عنها، ويحس بالعجز والاحتياج، ويشعر بالعطف والحنان، وفيه حب الذات وحب التملك والسيادة، ونجدته يغضب ويفرح... وغير ذلك من الأحاسيس التي تولد لديه الرغبة والاندفاع في الحياة لإشباع حاجاته ورغباته، والتي غالباً ما تكون في حيازة غيره؛ ولهذا فإن الإنسان بفطرته كائن اجتماعي يعيش بجماعة بطبيعته الناتجة عن علاقة الذكر والأنثى؛ فصار شعوباً وقبائل لتعارفوا.

إلا أن اجتماع الناس مع بعضهم يؤلف منهم جماعة أو جماعات، ولا يجعل منهم مجتمعاً إلا إذا نشأت بينهم علاقات دائمة لجلب والمصالح لهم ودفع المفاسد عنهم، والتي تحددها مفاهيم مكتسبة عن الأشياء بناء على الإدراك العقلي، إن كان هذا الشيء فيه قابلية للإشباع أم غير قابل، وهي مفاهيم تكاد تكون واحدة عند بني البشر، ولا تختلف بين الناس إلا في الأدواق والرغبات، فلا أثر لها في سلوك الإنسان من حيث رقيه أو انخفاضه...

أما النوع الثاني من المفاهيم عن الحياة من حيث إنه يجوز له الإشباع بحسبها أو لا يجوز، وهل في هذا الفعل خير أم شر، وهل هو فعل قبيح أم حسن، وهل فيه مصلحة أم مفسدة. وهذا أمر خارج عن ذات الشيء، وعن ذات الانسان، بل يقتضي الرجوع إلى القاعدة أو القواعد التي جعلها مقياساً لأعماله ومعياراً لتصرفاته؛ ومن هنا نجد أن أعمال الإنسان جميعها مقيدة بمقاييس وقواعد آمن بها، حددتها وجهة نظره في الحياة. وهذا ما يمتاز به الإنسان عن غيره من الكائنات الحية. إلا أنه قد يتصرف برجع غريزي كما يتصرف أي حيوان، أو يخضع نفسه لثورة غريزية جامحة، أو لإغراءات لم يستطيع مقاومتها. وليس عنده من الإيمان أو القيم ما يردعه عن القيام بإشباعها، فيتصرف دون تفكير أو تمحيص، فينحدر عن مستوى إنسانيته. قال تعالى: ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾

ومن هنا كان الحكم على هذا الإنسان من خلال أعماله هو حكم على ما آمن به من أفكار، وما اتخذ لنفسه من مقاييس، وما جعله له من وجهة نظر في الحياة. والحكم على هذه الأفكار

النهضة تقوم على الأساس المبدئي

يقتضي وجود قواعد ومسلمات عقلية يرجع لها الإنسان في حياته؛ ولذلك يجب أن نفرق بين أن ينظر الإنسان إلى نفسه في الجماعة براجع الرابطة الغريزي (الفطري) بدءاً باهتمامه بذاته وواجباته في سبيل العيش في الحياة؛ حيث يكابد همومها ويتغلب على صعوباتها من أجل تحقيق مصلحته التي يراها في إشباع حاجاته من مأكّل ومشرب وملبس ومسكن... وإشباع غرائزه وإرضاء رغباته، والتي من خلال هذه النظرة الذاتية قد تتسع نظرتة إلى أسرته وعشيرته وقبيلته، ثم إلى وطنه وقد تشمل قوميته؛ وذلك من زاوية ضرورة العيش وتحقيق الأمن والاستقرار وسيادة إقليم الدولة (الأرض والشعب) وفق مقياس المنفعة الفردية.

وهذه الرابطة الفطرية يشترك فيها الحيوان والإنسان. فكما أن الحيوان يدافع عن محل عيشه وبيئته ويحافظ على صغاره، وعلى القطيع بحسب قدرته إذا شعر بالخطر. كذلك الإنسان يحمي عن بيئته وعرضه وموطنه عندما يداهمه احتلال أو خطر حيث تظهر هذه الرابطة بصورة قوية.

وعندما يغيب الواقع المثير بذهاب المحتل أو تجاوز الخطر، أو في حال السلم وهو الحال الطبيعي، عندها ينخفض فكر الإنسان، ويطغى عليه الشعور بحب السيادة والتملك والسيطرة؛ فيندفع الناس الذين يعيشون في جماعات وأحزاب ومذاهب وعنصريات في صراعات يسعى كل منهم في تحقيق مصلحته بمقياس النفعية، ولو كان فيها إلحاق الضرر بالآخرين وتدمير المجتمع والدولة.

وبما أن طبيعة السلطة وملابساتها تقوم على النفوذ والسطوة والسيطرة والغلبة والقدرة على فرض الإرادة واستخدام القوة؛ فلطالما دفعت عشاق النفوذ والغلبة لتحقيق رغباتهم الجامحة لجمع الثروة، ونشوة حب السيادة، وفرض الهيمنة فتحدد المسؤولية بين الفئة الحاكمة والشعب، وتكون في انخفاض وارتفاع، أي عرضة للمساومة، وقد تصل للانعدام إذا تعارضت الشعوب مع مصالح المتنفذين فيها، ولو كان ذلك يؤدي لسفك الدماء وبيع الأوطان والفساد في الأرض؛ فيتخذون مع الشعب سياسة الترهيب والترغيب تحت قاعدة (الغاية تبرر الوسيلة)، وفي شراء الذمم والولاءات من أهل القوة، وإذلال الشعوب والتأمر عليهم، ونهب خيرات وثروات البلاد من قوى خارجية استعمارية. وفي هذه الحالة يكون الاختلاف والتباين ما بين الناس، والوقوع في محذور الخوف والفتن وعدم الاستقرار؛ فيكون مجتمعاً فوضوياً غير منسجم، وهذا المسار يسلكه كل الطغاة والظالمين.

ولذلك فإن المجتمع المضطرب العلاقات المشتت الأفكار، المختلف المشاعر، الكاره للنظام

النهضة تقوم على الأساس المبدئي

ويعمل على تقويضه يكون مجتمعاً محكوماً بالحديد والنار وكم الأفواه وجز الأعناق وقطع الأرزاق، مجتمعاً تسوده الأنانية وتنتظمه اللامبالاة، مجتمعاً فوضوياً ومنحطاً، وهو صورة واضحة لمجتمعاتنا في العالم الإسلامي... برغم ما في هذه المجتمعات من جامعات ومعاهد ومثقفين ومحللين سياسيين وثروات... وما فيه من أكبر مستشفيات العالم، ومن الكوادر الطبية الماهرة وغيرها من الإمكانيات الضخمة؛ ومع كل ذلك، فإننا ما زلنا نهوي إلى الحضيض.

ولذلك فإن نظرة الانسان لنفسه بدافع الفطرة لم ترتق به لتصل إلى مستوى إنسان يعيش في هذه الحياة مع غيره من بني البشر بحسب النظرة الشاملة والعميقة... ولذلك كانت الرابطة التي تربطه مع غيره هي رابطة عاطفية عرضه للتبديل والاختلاف وتقديم المصالح الشخصية على العامة؛ فلا يمكن من خلالها السير في طريق النهوض والارتقاء. فالإنسان لا يستطيع النهضة والارتقاء في حياته دون معرفة معنى وجوده في الحياة، ومعنى هذه الحياة الزمنية التي يقضيها.

ومن هنا نجد أن المجتمع مؤلف من الأفراد والأفكار والمشاعر والأنظمة؛ ولا يمكن البحث في نهضة المجتمع أو تغييره إلا بالتعرض لهذه المكونات الأساسية. أما من يقول إن المجتمع هو مجموعة أفراد، فإن قوله هذا هو قول ناقص. فالأفراد بحد ذاتهم هو متأثرون لا شعورياً بهذه العلاقة ويخضعون لها، وإذا رأوا فيها الكثير من العيوب والأخطاء تجدهم يبررون لها ويتفاعلون معها.

ثانياً: الأساس المبدئي:

الأساس المبدئي هو امتلاك الإنسان لعقيدة عقلية ينبثق عنها نظام. فالعقيدة هي الفكرة الكلية عن الكون والإنسان والحياة، وعمما قبل هذه الحياة وعمما بعدها، وما علاقتها بما قبلها وما بعدها، وما النظام المنبثق عن هذه العقيدة والمعالجات لمشاكل الإنسان، وبيان طريقة تنفيذها والمحافظة عليها وحملها للعالم.

وهذه الأسئلة هي التي تفرض نفسها على كل مفكر يريد أن يشق طريقه في الحياة، وبحسب أجابته يكون سلوكه في الحياة. وهي تمثل (الإجابة عن حل العقد الكبرى عند الإنسان) التي تعرفه بأصله، وماله وما عليه، وطبيعة حياته والغاية منها.

وإذا نحن استعرضنا العالم كله الآن، لا نجد فيه إلا ثلاثة مبادئ هي: الرأسمالية والاشتراكية

والمبدأ الثالث الإسلام. فإذا رجعنا إلى أوروبا في القرون الوسطى وكيف كانت تعيش في العصور المظلمة، برغم أن تلك الشعوب تدين بدين واحد وعقيدة واحدة هي النصرانية؛ إلا أنها كانت عقيدة كهنوتية ووجدانية تلتقتها الشعوب تقليدًا عن الآباء والرهبان، وهو ما أدى بها إلى الانحراف الخطير الذي أصاب البشرية اليوم والمتمثلة بالجريمة الإنسانية.

إن الغرب عندما وجد أن الدين النصراني خال من أنظمة الحياة ومعالجات مشاكل الإنسان، وأن رجال الدين النصراني يظلمون الناس باسم الحق الإلهي وادعأؤهم أنهم وكلاء الله في الأرض، وأن الكنيسة استبدت بالشعوب، ووقفت ضد العلم والحقوق والإنسانية وعجزت عن حل المشاكل، وبررت للملوك والإقطاعيين ما يمارسونه من جرائم ضد الشعوب، ومارست حق الغفران وحق الحرمان، وقتلت أكثر من ٢١ ألف عالم بحجة تحريم العلم... ما أدى إلى انطلاق الثورة الفرنسية تحت شعار: (اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس)

إن الصراع المرير الدموي بين الفلاسفة والمفكرين من جهة ورجال الدين من جهة أخرى استمر حتى ساد الرأي العام في المجتمعات الأوروبية بفصل الدين عن الحياة، والتي شكلت حلًا للعقدة الكبرى عندهم، فهم لم يبحثوا في موضوع الايمان بالله تعالى وتنظيم الحياة بل جعلوها مسألة حرية فردية يحق للفرد أن يعتنق ما يشاء، مع أن الأصل أن الإنسان عاجز، واحتياجه للخالق المدبر فطري، وهو ليس بمقدوره أن يحدد بنفسه وجهة نظره في الحياة بشك صحيح، ولا الغاية من وجوده، ولا أن يضع نظامًا وقواعد صحيحة وعادلة تنسجم مع الغاية من وجوده؛ وهذا يؤكد أن أمر التشريع هو لمن خلق العقل والإنسان والحياة، والذي هو أعلم بما يصلحه وما يفسده.

وعلى هذا الأساس استقر الرأي عند جمهرة الفلاسفة والمفكرين على عدم البحث في الدين من ناحية إنكاره أو الاعتراف به، بل بحثوا في أنه يجب فصل الدين عن الحياة، واعتبروها حلًا وسطًا بين رجال الدين والمفكرين؛ فصارت قاعدة فكرية لهم، وبناء عليها كان أن الإنسان هو الذي يضع نظامه في الحياة وذلك بإطلاق حرية الأفراد في الاعتقاد وحرية الرأي والحرية الشخصية وحرية التملك. وصوّرت السعادة بأنها الأخذ بأكبر قدر من المتع الجسدية، وكان مقياس المنفعة هو الذي يشكل مفهوم السعادة لديهم، وصاروا يلهثون بجنون وراء كل إشباع حتى وصلوا للإشباع الشاذ؛ وعلى هذا الأساس الخاطئ المبني على ردة الفعل حدث الانقلاب الفكري والسياسي في الغرب قلب لديهم مفاهيم الأشياء ومراتب القيم وساعد على وجود الانقلاب الصناعي والتقني والإداري، وأوجدوا عقدًا اجتماعيًا أوجد الانسجام في مجتمعاتهم.

النهضة تقوم على الأساس المبدئي

وبالرغم من أن القاعدة الفكرية التي استندوا عليها خاطئة؛ إلا أنها أحدثت نهضة صناعية وعلمية في الوقت الذي انحطوا فيه بعلاقاتهم الاجتماعية وأدى إلى تفشي الانحلال الأخلاقي بينهم، وتركز الثروة بأيدي قلة من التعساء من عبيد المال المتحكمين بمصائر الشعوب...

فالعلمانية ترى أن المجتمع مكون من أفراد. والدولة تشرف على حرية الأفراد. وترى أن تنظيم شؤون الفرد ينتظم بانتظام شؤون المجتمع.

أما بالنسبة للمبدأ الاشتراكي الذي يرى أن الكون والإنسان والحياة مادة، وأن المادة هي أصل الحياة، وهي أزلية، حتى إن الفكر عندهم إنما هو انعكاس المادة على الدماغ، وترى أن المجتمع مجموعة عامة، منها الأرض وأدوات الإنتاج والطبيعة والإنسان باعتباره شيئاً واحداً هو المادة، وحين تتطور الطبيعة وما فيها يتطور الإنسان ثم المجتمع كله.

وتطور الفرد يدور مع تطور المجتمع كما يدور السن في الدولاب؛ كذلك فقد كان المبدأ الاشتراكي ردة فعل للقضاء على طبقة البورجوازيين والإقطاعيين؛ ولذلك أممو المملوكيات وألغوا ملكيات الفرد. وكان للدولة وحدها عندهم تنفيذ النظام بقوة الجندي وصرامة القانون، وهي تتولى عن الفرد وعن الجماعة شؤونهم، وهي التي تطور النظام.

أما المبدأ الإسلامي الذي يقوم على أساس عقيدة أن لهذا الوجود خالقاً خلقه وهو الله تعالى، وأن لهذه الحياة بداية ولها نهاية، وبعدها حساب على ما اكتسبه الإنسان في هذه المدة الزمنية التي عاشها في الحياة؛ فلا بد إذن من أن يكون تنظيم العلاقات بين الناس وتنظيم حياتهم وضبط أفعالهم وتصرفاتهم بناء على أوامر هذا الخالق المدبر؛ فكان الوحي هو وسيلة التبليغ للناس ما أراد بهم ربهم وما أراده لهم؛ وعليه كان النظام والقانون الذي يسير علاقات الناس وينظم سلوكهم وتصرفاتهم منبثقاً من العقيدة الصحيحة التي تبنى على العقل وتوافق الفطرة: فنظم علاقة الإنسان بخالقه بما بيّنه من عقائد، وما شرعه من عبادات. ونظم علاقة الإنسان بنفسه بما شرعه من أخلاق وأحكام المطعومات والملبوسات. ونظم علاقته بغيره من الناس بما شرعه من أنظمة للمجتمع تقوم به دولة الخلافة... من هنا كانت العقيدة الإسلامية قاعدة فكرية بنيت عليها حضارة إنسانية عريقة، وتحققت لها نهضة توسعت حتى شملت من الصين شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، ومرت الدولة الخلافة الإسلامية طوال فترة حكمها في ارتفاع كلما أحسنت تطبيق الإسلام، وفي انخفاض كلما أساءت تطبيقه.

ولهذا رأى المفكر «ويل ديورانت» وهو من المفكرين المنصفين البلاد الإسلامية في ظل الخلافة الإسلامية «أن الخلفاء قد أمنوا الناس إلى حد كبير على حياتهم وثمار جهودهم،

وهيؤوا الفرص لذوي المواهب، ونشروا الرخاء على مدى ستة قرون في أصقاع لم ترَ قط مثل هذا الرخاء بعد عهدهم، وبفضل تشجيعهم ومعونتهم لنشر التعليم ازدهرت العلوم والآداب والفلسفة...»

وباختصار إن وجود المبدأ لدى أمة من الأمم وهو السبب في نهضتها النهضة الصحيحة أو النهضة الخاطئة. والسؤال الذي يفرض نفسه علينا هنا هو: بما أن الإسلام هو المبدأ الصحيح بعقيدته العقلية، والتي ينبثق عنها نظام شامل عادل من شأنها أن توجد نهضة، فلماذا هذا الانحطاط والتخلف والرجعية في حياة المسلمين اليوم؟ وهذا يرجع إلى أمرين: مخلفات العصر الهابط، وزوال الدولة الإسلامية وهيمنة دول الغرب على عالمنا الإسلامي.

أما بالنسبة إلى مخلفات العصر الهابط، فقد كان سببه الضعف الشديد الذي طرأ على أذهان المسلمين في فهم الإسلام، وإهمال شأن اللغة العربية، وإغلاق باب الاجتهاد، وسواد عقلية التقليد والاتباع والدروشة حتى قالوا: من لا شيخ له فالشيطان شيخه، وسواد المشاعر المتعددة والمتناقضة مثل تقديس الأضرحة ومقامات الأولياء، وظهور علم الكلام وانتشار المظاهر الصوفية المتأثرة بالفلسفة الهندية التي تدعو إلى العزوف عن الدنيا وتعذيب الجسد لتسمو أرواحهم؛ ما أدى إلى تبدل إحساس المسلمين بوجوب التغيير، وسواد مشاعر القدرية الغيبية، وانتشار فكرة انتظار المهدي الموكل إليه وحده أمر التغيير، وأنه وحده من سيملا الأرض عدلاً يعد أن ملئت جوراً... مع سيطرة هذه الأفكار على حياة المسلمين، تجمدت العقول وأبعد التفكير المنتج المبني على القاعدة الفكرية الإسلامية؛ فتسرب الخلل إلى المسلمين؛ ما جعلهم يفصلون بين عمل الدنيا وعمل الآخرة، وجعلوا العمل للآخرة في مرتبة عليا ما أدى إلى عدم الاهتمام بقضية الاستخلاف في الأرض؛ فصار المسلمون يفهمون الإسلام فهماً روحانياً أكثر منه فهماً فكرياً وسياسياً وتشريعياً؛ ولهذا لم يفرق المسلمون بين العلم والثقافة، وبين الحضارة والمدنية، وبين الحكم والإدارة؛ فوقفوا في حيرة من أمرهم أمام النهضة الغربية، ونادوا بتحريم أخذ كل شيء منهم، وحين ظهرت المطابع وعزمت الدولة على طبع القرآن الكريم حرم الفقهاء طبعه، وكفروا كل من يتعلم العلوم الطبيعية، واتهموا كل مفكر بالزندقة.

وهذا ما جعل القائمين على النظام يشعرون أنهم بحاجة إلى قواعد وقوانين لمعالجة مشاكل العصر، وفي الوقت نفسه وجد العجز.

وهذا ما جعل شيخ الإسلام يصدر فتاوى منها (إن ما لا يخالف الإسلام هو من الإسلام)

وهذا أدى إلى إدخال العديد من القواعد والتشريعات من أنظمة التشريع الروماني والفرنسي إلى أنظمة الإسلام. بكل ذلك عزلت الدولة والنظام عن المجتمع، فأراد الحكام فرض احترامهم وتقديرهم بتنفيذ أوامره بقوة السلاح مستعملين كل وسائل الضغط، وأرهبوا الأمة بما يشاؤون من ضرائب، وغرقت الدولة بالديون؛ فعاشت الأمة في ذعر من حكامها

وهذا ما سهل على الغرب الكافر تحقيق الحلم الذي كان يداعبه قروناً طويلة للقضاء على الدولة الإسلامية، وبعدها انتهت الحرب العالمية الأولى استولى الحلفاء على جميع بلاد الدولة الإسلامية وقطعوا أوصالها إلى أشباه دول ونصب عليها عملاءه من الحكام.

ولما كان للثقافة الأثر الأكبر على فكر الإنسان الذي يؤثر على مجرى الحياة، عمد إلى فرض ثقافته، فوضع مناهج التعليم على أساس فلسفة (فصل الدين عن الحياة) وأنشأ المدارس والجامعات والمعاهد، ومنع الدين من أن يكون له دخل في السياسة والحكم والاقتصاد، وفرض أنظمتها، وغير العرف العام في المجتمعات، وصار القدوة الحسنة لكثير من المطبوعين من أبناء المسلمين المنبهرين بحضارة الغرب؛ حتى وصلنا إلى ما نحن عليه الآن من الأوضاع السيئة. وفي أتون هذه الفوضى الفكرية، والفراغ السياسي، وتعقد الأزمات، وتحكم الفساد بكل مستويات حياة المسلمين... تحكمت الدول الغربية بمصائرنا ونهب خيراتنا ومقدراتنا، فكان البحث عن المخرج الصحيح والعلاج الجذري هو النهضة على الأساس المبدئي. فكفانا ترقباً وتجارب وتمييعاً لقضايانا المصرية في الحياة. فأوروبا نهضت على أفكار من القرن ٨ قبل الميلاد في أثينا، ونحن أحق بأن نبحت في تراثنا الحضاري وتاريخنا.

وأخيراً: إن الشعوب والأمم والدول تقاس بمبادئها ومدى احترامها وتمسكها به. ولكل أمة عقيدة وقضية تناضل من أجلها وتسعى لتحقيقها في الحياة، وهي التي تمثل مجموع الثوابت والقيم والمثل العليا التي تشكل هوية الأمة.

وأهمية هذا الموضوع الواسع تكمن كذلك بتأثيره في نهضة المجتمع، ويحدد دور الدولة الخطير في تحقيق هذه النهضة، والتي لا يمكن تحقيقها بدونها. وهذا ما سنبحثه لاحقاً إن شاء الله تعالى. فكم نحن بحاجة إلى هذه المنهجية في التفكير الصحيح! □

بسم الله الرحمن الرحيم

الوجود العثماني في اليمن بين ترحيب فئة من أهله وإنكار أخرى

المهندس شقيق خميس - اليمن - صنعاء

قامت الدولة الإسلامية في المدينة المنورة بهجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها، وبقيت فيها بعد موته ثلاثون عامًا في الخلافة الراشدة لتنتقل بعدها من مدينة إلى أخرى، ومن أقوام إلى آخرين، فقد انتقلت عاصمتها بعدها إلى دمشق ومنها إلى بغداد وصولاً إلى إسطنبول، وقد استمرت الخلافة العثمانية أربعمئة عام متصلة قبل أن تسقط في ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م في أعقاب الحرب العالمية الأولى، بعد تاريخ حافل ظهر فيه دين الإسلام على العالم، ودخلت فيه أقوام وشعوب شتى، بعد أن كانت قد عاشت في الضلال بعد تحريف الأديان السابقة؛ لينتشر الإسلام في قارات العالم القديم جميعها، وتترامى دولته على مساحات شاسعة ضمت شعوبًا مختلفة وأجناسًا متباينة يجمعها دين الإسلام ينضون تحت قول الله عز وجل ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ﴾، وقول رسوله صلى الله عليه وسلم: «أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى».

بعد الخلافة الراشدة والأموية صارت الخلافة في العباسيين وبقيت فيهم ما يقارب ٧٠٠ عام، ثم أفلت بوقوعها فريسة للمغول الذين اجتاحتها عاصمتها بغداد في ١٢٥٨م وقتلوا الخليفة المستعصم بالله، وحلَّ بقية خلفاء بني العباس ضيوفاً في مصر لدى المماليك، الذين تسلطوا على الحكم بعد العباسيين، وكان ذلك الوقت مناسباً لظهور نجم العثمانيين وتلاؤه بفتوحاتهم المستمرة التي توجت بفتح القسطنطينية حاضرة الكنيسة الشرقية في ١٤٥٣م، وتحويلها إلى إسطنبول كعاصمة لدولة الخلافة الإسلامية. لم يسلم آخر خليفة عباسي المتوكل على الله المماليك في مصر ما بحوزته من رموز الخلافة كبردة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وسيفه وغيرها، وقدمها طواعية للخليفة العثماني سليم الأول، كما أرسلت إليه مفاتيح الكعبة ولم ترسل من قبله للماليك، ودعي للخليفة سليم الأول من على منابر المساجد في شتى بلاد المسلمين، وهكذا يكون العام ١٥١٧م هو العام الذي تسمى فيه أول خليفة عثماني للمسلمين. وتبع العثمانيون العباسيين في اتخاذ المذهب الحنفي، ولم يبدر منهم أي دعوة للناس في اليمن باتباع مذهبهم، ولم يفرضوا عليهم آراءهم الفقهية، وتركوهم يتبعون المذهب الشافعي والزيدي.

خرج العثمانيون من اليمن في ١٦٣٥م ليوجهوا جهودهم العسكرية في أوروبا، وليعودوا إليها في ١٨٧٢م إثر قضائهم على دولة محمد بن سعود في زمن ابنه عبد العزيز بن محمد بن سعود عام ١٨١٨م الذي أعانه الإنجليز على إقامتها بالدرعية، وملاحقة فلولهم التي فرت إلى اليمن وقائدها العسكري طامي بن شعيب، وكان خروجهم الأخير من اليمن في نهاية الحرب العالمية الأولى في ١٩١٨م.

ينتسب العثمانيون إلى عثمان بن آرطغرل المتوفى عام ١٣٣٦م القادمون من هضبة الأناضول بأواسط آسيا، ويعود إسلامهم إلى وقت مبكر، من أيام الأمويين الذين وصلوا ما وراء نهر السند إبان خلافتهم، وقد ذكر القاضي شمس الدين الموزعي نسب العثمانيين فقال: "أولهم مولانا السلطان عثمان خان جد سلاطين آل عثمان، ذكر الشيخ الفاضل العالم العامل الأفندي قطب الدين النهروالي في تاريخه المسمى بالإعلام أن أصله من التراكمة من طائفة التتار" وليس للعثمانيين أي علاقة بنسب بعثمان بن عفان رضي الله عنه، كما يتردد عند بعض الناس.

شكل سقوط الأندلس بيد الإسبان في ١٤٩٢م نقطة تحول دفعت الإسبان لملاحقة المسلمين الفارين باتجاه شمال أفريقيا عبر البحر الأبيض المتوسط. وأطلق المسلمون الفارون الاستغاثات لمن يلتقطها من إخوانهم القادرين على نجدتهم ومد يد العون لهم، فكان العثمانيون القريبون من ساحة المطاردة هم من لبي نداء الاستغاثة ليصدوا الإسبان ويوصلوا الأندلسيين الفارين إلى بر الأمان. وحين انطلقت الإرساليات التبشيرية من البرتغال "تحت ستار الاستكشافات الجغرافية" في اتجاه بلاد المسلمين، متزامنة مع ملاحقة الإسبان للأندلسيين تجوب البحار، فوصلت إلى سواحل اليمن عبر رأس الرجاء الصالح، فوادعهم عامر بن داود الطاهري في عدن ولم يقاتلهم، وقاتلهم أهل الشحر، وأهلها يحتفلون حتى اليوم بذكرى شهدائهم الذين سقطوا في تلك المعارك، وقد قام البرتغاليون ببناء الكنائس تتويجاً لحملتهم التبشيرية في جزيرة سقطرى، وهي لا تزال حتى اليوم. لقد تزامن تولي العثمانيين للخلافة بدخولهم القاهرة في ١٥١٧م وإزاحتهم للماليك. وكان خطر الغزو البرتغالي قد أوجب على شريف مكة وأمير اليمن أن يبعثا للخليفة العثماني سليم القانوني أن يضعا بلادهما تحت حمايته بعد أن هدد البرتغاليون جده سنة ١٥٠٥م، وتمكنوا من التسلل إلى مكة نفسها التي أقسم ملكهم أن يستولي عليها، وأن ينبش قبر الرسول في المدينة، وكان هذا التهديد البرتغالي قد هز المسلمين جميعاً والعرب، ومن بينهم اليمنيون على وجه الخصوص. ولم يكن الجراكسة، وهم عمال المماليك في اليمن من قبل، يأمرون للعثمانيين الذين أبقوهم على حكم اليمن بعد توليهم الخلافة، وعملوا على الانفراد بالحكم في اليمن، علاوة على شكاية أهل صنعاء لدى العثمانيين منهم.

يقول المؤرخ الكويتي سيف مرزوق الشملان في لقاء صحفي نشرته مجلة المجتمع الكويتية على عدة حلقات خلال شهر مارس ١٩٨٤م "إن العثمانيين كانوا حماة لا غزاة، ويكفي الدولة العثمانية فخراً أنها وقفت وقفة الأسد أمام الغرب، ولولاها لاجتاح الغرب البلاد العربية. وكذلك قامت الدولة العثمانية بجهد كبير في نشر الإسلام في أوروبا، كما أنها وقفت بقوة أمام أطماع اليهود في أرض فلسطين، وذهب السلطان عبد الحميد ضحية رفضه منح اليهود فلسطين وطنًا قوميًا رغم إغراءات اليهود الكثيرة له، حيث خلع عن عرش الخلافة الإسلامية عام ١٩٠٩م."

توجه العثمانيون من مصر إلى اليمن لأول مرة في ١٥٣٨م، وقد جاء وصول العثمانيين إلى اليمن تلبية لنداء أهله وأهل مكة بصفتهم ولاة المسلمين في العالم أجمع لإجلاء البرتغاليين عن سواحل اليمن، وطاردوهم في سواحل البحر الأحمر في كل من أرتيريا والحبشة وفي المحيط الهندي حتى الهند. حاول الأسطول البرتغالي أخذ عدن، فأباد والي لواء عدن عبد الرحمن بك الأسطول البرتغالي وأسر الأميرال don marco، وأرسله إلى إسطنبول. وعندما شرع أسطول تركي مكوّن من ٤٥ سفينة حربية يتجول في البحر الأحمر وخليج عدن وبحر عمان بصورة مستمرة، أدرك البرتغاليون عدم إمكان اجتيازهم باب المندب.

قام العثمانيون أثناء وجودهم الأول والثاني في اليمن بالكثير من الأعمال في اليمن بوصفهم قائمين على رعاية شؤونهم، فبنوا المساجد في شتى مدن اليمن وقراها، وزودوها بأحواض المياه والأنابيب النحاسية، وبنوا جامع البكيرية المبني تحت قبة كبيرة واحدة من أعمال العثمانيين في اليمن، الذي لا يزال قائمًا حتى اليوم بعد مضي أكثر من ٤٠٠ عام على بنائه، كما قاموا ببناء المستشفيات التي حولها الإمام يحيى بعد خروجهم إلى دور لسكانه. وأصدر العثمانيون صحيفتين في صنعاء بقيتا حتى خروجهم في ١٩١٨م، وقاموا ببناء السماسر لرعاية المسافرين ومببتهم وإطعامهم وخدمتهم، إلى جانب بناء المدارس، فقد كان يوجد كليتين للبنات في العاصمة صنعاء قبيل رحيلهم الثاني عن اليمن، وشقوا الطرقات، واشتروا ببناء الحمامات التي لا تزال بعضها حتى اليوم، وبصفتهم الرعائية أقاموا الأوقاف لمختلف المصالح كالإنفاق على القائمين بخدمة المساجد ورعاية الأيتام والقيام على رعاية الحيوانات من القطط والكلاب بتجميع مخلفات المجازر وإطعامها إياها. كما قاموا بإقامة مصنع للثلج بالحديدة، وسكوا العملات الفضية بصنعاء منذ وجودهم الأول، حيث وصلت سكة الدراهم الفضية الجديدة إلى تعز، التي ضربها الوزير محمد باشا في محروس صنعاء. ولا تزال بعض المباني العثمانية قائمة إلى اليوم كالعرضي مقر هيئة الأركان اليوم، ودار الحمد، ودار الشكر،

ودار السعادة، ومن تمام العدل لم يكتفِ العثمانيون ببناء المحاكم في المدن، فقد عمدوا إلى المحاكم المتنقلة التي تجوب القرى للفصل في خصومات الناس، كما أهتم العثمانيون في اليمن بتسويق البن خارج اليمن، ويعود إليهم الفضل في شهرة بن المخا في تجميعه من مختلف مناطق زراعته وتصديره إلى الأسواق العالمية كأوروبا التي رحبت بالمشروب السحري القادم من اليمن وغيرها من بلاد العالم. كان العثمانيون يرسلون محملاً سنوياً في موسم الحج من اليمن إلى مكة، يعينون فيه الضعفاء من الحجاج بحملهم على دوابه وإطعامهم أثناء سفرهم إلى البيت الحرام، ولم ينقطع هذا المحمل إلا بمجيء عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود إلى الحكم، والذي عادى العثمانيين عداء شديداً لارتباطهم بالإنجليز. قام الخليفة عبد الحميد الثاني بإنشاء سكة الحديد لترتبط بلاد المسلمين ببعضها من إسطنبول فالشام والعراق والكويت وعمان مروراً باليمن وصولاً إلى مكة، وقد حُج من صعدة على سكة الحديد هذه، وقد أوكلوا إلى شركة فرنسية عمل سكة حديد بين الحديدية وصنعاء ودفَعوا تكاليفها دنانير ذهبية، ولم تقم الشركة الفرنسية بإنشاء السكة.

ومن الناحية العسكرية، فقد أقام العثمانيون في وجودهم الأول في اليمن ثلاثة مدافع في قلعة صيرة بعدن لحماية عدن من التدخلات الأجنبية الأوروبية. ويحسب على العثمانيين أنهم اعتمدوا على قوتهم العسكرية حيث امتلكوا أكبر مدافع في العالم، واستخدم محمد الفاتح مدافع الهاون لأول مرة عند فتحه القسطنطينية، وكانت قوة مدافعهم تدرح محاربيهم من تخوم صنعاء إلى شهارة أكثر مما اعتمدوا على الإقناع بإظهار الحجج القوية بالمنظرة وإلزام الناس بطاعتهم طواعية.

لقد كان العداء مستحكماً بين العثمانيين والإنجليز، وحين أقيم خط لفصل سلطة العثمانيين في شمال اليمن عن المحتلين الإنجليز في جنوبه من الأعوام ١٩٠٢م - ١٩٠٤م قام ضابط عثماني بلطم ضابط إنجليزي أثناء ذلك، وحين قامت الحرب العالمية الأولى أسر العثمانيون ٧٥ ألف جندي بريطاني وساقوهم مشياً على الأقدام إلى إسطنبول، وفي اليمن استطاع علي سعيد باشا أن يحشد الجنود ومعهم خمس فرق من قبائل اليمن لقتال الإنجليز في عدن ووصلوا إلى الشيخ عثمان، ثم أخرجهم الإنجليز إلى لحج وبقوا فيها حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، وكانت لغة التخاطب بين العثمانيين والإنجليز المحتلين لعدن اللغة التركية والحرف العربي، ويشهد بذلك أحمد فضل القمندان بالرسالة التي أوردها في كتابه هدية الزمن بالخط العربي واللغة التركية.

يعد العام ١٩٠٩م وما بعده حتى الحرب العالمية الأولى زمن تدهور العلاقات العثمانية مع رعاياها غير الأتراك، فقد أنشئت جمعية الاتحاد والترقي في باريس عام ١٨٦٠م، وكانت

تضم في صفوفها يهود الدومنة بشكل أساسي، ومعهم قلة من أبناء المسلمين الذين لم يطلعوا على أهدافها الحقيقية، وهي مساومة الخليفة عبد الحميد بمنحهم فلسطين لإقامة وطن قومي لليهود فيه، وحين لم تفلح في المساومة قامت بعزله في ١٩٠٩م إلى سالونيك، وقد ارتبط اسم (جمعية الاتحاد والترقي) و(تركيا الفتاة) أو (العثمانيون الجدد سابقاً) منذ بداياتها باسم الماسونية، فقد نبعت في الأصل من المحافل الماسونية في سالونيك، بإدارة "الشرق الأعظم" الإيطالي الذي أسهم فيما بعد بنجاح مصطفى كمال). و"... بدأت تنشط عند الاتراك عصبية تركية ترمي إلى صبغ الإمبراطورية العثمانية بصبغة تركية. واعتقد معظم أعضاء جمعية الاتحاد والترقي بعد إسقاط عبد الحميد في سنة ١٩٠٩م أن سياسة التريك ستصهر بقية عناصر الإمبراطورية العثمانية في بوتقة تركية واحدة."

دام بقاء العثمانيين في وجودهم الأول في اليمن حتى العام ١٦٣٥م، حيث لم تستطع دولة الأمة أن تملأ الفراغ السياسي الذي تركوه رغم بسط نفوذ دولتهم حتى عدن وحضرموت. فما إن حلَّ العام ١٧٣٢م، حتى غدرت قبيلة العبادل بعامل الإمام في عدن وقتلوه، مستعينين بقبيلة يافع التي ساندتها مقابل وعد بالتناوب على خراج عدن؛ لتتحول بعدها العبادل إلى سلطنة، ثم لتتحققها بعد ذلك غيرها من السلطنات والمشيخات في الظهور وتصير لقمة سائغة للإنجليز المنتظرين حدوث فراغ كهذا، واستطاعت بريطانيا التي أسست شركة الهند الشرقية في ١٦٠٠م للأغراض الاستعمارية من احتلال عدن في ١٨٣٩م بعد توقيع اتفاقية بوفهام التجارية بينها وبين سلطان لحج في ١٨٠٢م. واستطاع الإنجليز الوصول إلى صنعاء في ١٦٤٨م بعد أن كان العثمانيون يمنعون الإنجليز من الاقتراب من الجزيرة العربية؛ وهذا ما حدث بالفعل مع السفينة البريطانية الصعود assintian التي وصلت بحر العرب في ١٦٠٩م فأسر العثمانيون بحارتها، ومن ثم طردوهم وحذروهم من الاقتراب ثانية. أما خروج العثمانيين الثاني من اليمن في نهاية الحرب العالمية الأولى فقد نتج عنه تقسيمه إلى شمال وجنوب، وفقدان متصرفية عسير بعد أن استولى عليها عبدالعزيز آل سعود، وانكشف شمال اليمن أمام الدول الطامعة فيه.

إن من الكلمات التي كتبت في التاريخ من نور التاريخ للخليفة عبد الحميد الثاني التي دونها في إسطنبول عام ١٩٠١م بشأن فلسطين: "انصحوا الدكتور هرتزل بالألا يتخذ خطوات جدية في هذا الموضوع، فإني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من أرض فلسطين... فهي ليست ملك يميني... بل ملك الأمة الإسلامية... لقد جاهد شعبي في سبيل هذه الأرض ورواها بدمه... فليحتفظ اليهود بملايينهم... وإذا مزقت دولة الخلافة يوماً فإنهم يستطيعون آنذاك

أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن... أما وأنا حيٌّ، فإن عمل المبضع في بدني لأهون عليّ من أن أرى فلسطين قد بترت من دولة الخلافة، وهذا أمر لا يكون. إني لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة“.

إن إحياء ذكرى سقوط الخلافة الإسلامية في ١٩٢٤م في الأمة الإسلامية، والحديث عن وجوب استئناف حياة إسلامية بإقامة دولة الخلافة على منهاج النبوة التي باتت وشيكة الظهور لجعلها تأخذ مكانها في صدارة الأمم، فهي صاحبة الرسالة الإلهية الخاتمة على الأرض... هو أحد الأسباب التي جعلت الناس يتفاعلون إيجاباً وسلباً مع الخلافة العثمانية؛ لكننا هنا نقول لأهل اليمن عموماً وللمثقفين منهم خصوصاً أن يكونوا منصفين في الحكم على العثمانيين الذين تواجدوا في بلادهم لفترة من الزمان، وأن يسبق حكمهم هذا الاطلاع على ما كتبه أجدادهم المؤرخون بشأن العثمانيين ممن عاصروهم من أمثال القاضي شمس الدين عبد الصمد بن إسماعيل بن عبد الصمد الموزعي في كتابه (الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان)، والمؤرخ عبدالله بن صلاح بن داعر في موسوعته التاريخية (الفتوحات المرادية)، ومحمد بن يحيى المطيب الزبيدي في كتابه (بلوغ المرام)، والمؤرخ أحمد بن محمد الشرفي في كتابه (اللائئ المضيئة)، والمطهر بن محمد الجرموزي في كتبه الكثيرة، والمؤرخ يحيى بن الحسين في كتابه (أبناء الزمن)، والمؤرخ محمد بن بكر الوشلي في كتابه (عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر)، وغيرهم ممن تتعلق كتبهم بالوجود العثماني في اليمن، وأن لا يصموا آذانهم ويغلقوا عقولهم عن قراءتها. وأن لا ينساقوا وراء من استولوا على كتبنا وتاريخنا ومخطوطاتنا بحق وبغير حق وأخفوها عنا، وقدم لنا المؤرخون الأوروبيون تاريخهم الظاهر تحيزهم وتحاملهم فيه ضد العثمانيين لما دار بينهم من القتال على مدار القرون الأربعة، وكيف أنشأوا عصبة الأمم النصرانية لمواجهتهم، والتي غيرت اسمها إلى عصبة الأمم في ١٩١٩م بعد ضمها دولاً غير نصرانية إليها، ولتصير هيئة الأمم المتحدة في ١٩٤٥م. وإن قراءة ما كتبه مؤرخو أوروبا فيما يخصنا كمسلمين فذلك الجنون بعينه. فقد رددنا وراءهم مقولة الاحتلال العثماني والغزو العثماني لليمن على سبيل المثال، وعن خير الدين بن يعقوب بن إسحاق رددنا وراءهم بأنه بربروس، أي ذي اللحية الشقراء بحسب ما أسموه هم، مع أننا لا ندري أمديح ذلك منهم أو ذم، وكيف يمدحونه وهو الذي أشقاهم في البحر الأبيض المتوسط؟!، ونعتوه باسم القرصان وهو ليس كذلك، ورددنا وراءهم أنه قرصان! فقد وجب التنبيه على ذلك وأخذه بعين الاعتبار. □

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

وَإِیْرِیْحِ الْخِلَافَةِ نَجْدُهَا دُونَ الْغَوَطَةِ بِالشَّامِ

أَبُو حَنِیْفَةَ - الْأَرْضِ الْمُبَارَكَةِ فِلَسْطِیْنِ

الخطبة الأولى:

أیْهَا الْمُسْلِمُونَ: عِنْدَمَا یُسْتَقْرِیْشُ مِنْ مَقَارِعَةِ الْحَقِّ بِالْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ، لَمْ تَجِدْ بُدًّا مِنْ الدَّوْسِ عَلَى قِیَمِ الْقِرَابَةِ وَالتَّخْوَةِ وَإِجَارَةِ الْجَوَارِ، مِنْ بَعْدِ أَنْ كَانَتْ هَذِهِ الْقِیَمُ شِبْهَ دَسْتُورٍ تَعَارَفَتْ الْعَرَبُ عَلَيْهِ رَدْحًا طَوِیْلًا مِنَ الزَّمَنِ، لَقَدْ كَبَّرَ عَلَيْهِمْ أَنْ یَخْتَارَ اللَّهُ تَعَالَى مُحَمَّدًا - صَلَوَاتُ رَبِّی وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - رَسُولًا یُخْرِجُ النَّاسَ مِنْ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ إِلَى نُورِ الْإِسْلَامِ! فَكَانَ الْقِرَارُ الْغَاشِمُ الْجَرِیءُ بِحِصَارِ الْمُسْلِمِیْنَ، وَحَتَّى الْكِفَارِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فِي الشَّعْبِ، فَكَانَتْ كِتَابَةُ الصَّحِیْفَةِ الظَّالِمَةِ الَّتِي نَصَّتْ عَلَى أَنْ لَا یُنَاكِحُوا بَنِي هَاشِمٍ، وَأَنْ لَا یُبَايِعُوهُمْ وَلَا یُجَالِسُوهُمْ وَلَا یُخْتَلَطُوا بِهِمْ... وَبِالْإِجْمَاعِ خُطَّتْ بُنُودُ الصَّحِیْفَةِ، ثُمَّ تَقَاسَمُوا بِأَهْلَتِهِمْ عَلَى الْمَحَافِظَةِ عَلَيْهَا، وَتَلَحَّظِي بَقُدْسِیَّةِ الْحِجَارَةِ الصَّمَاءِ عَلَّقُوا صَحِیْفَتَهُمْ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ، وَمَعَ إِهْلَالِ هِلَالِ الْمُحَرَّمِ مِنَ السَّنَةِ السَّابِعَةِ مِنَ الْبَعْتَةِ، تَزَيَّلَ الرَّسُولُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - مِنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِیْنَ وَالْمُشْرِكِیْنَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ الَّذِينَ أَمْتَنَعُوا بِحِمِیَّتِهِمْ الْقَبِیْلِيَّةِ عَنْ تَسْلِيمِ الرَّسُولِ لِكِفَارِ قُرَیْشٍ إِلَى شِیْبِ بْنِ هَاشِمٍ، كُلُّ هَذَا یَحْدُثُ فِي الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ الَّتِي كَانَتْ الْعَرَبُ تُعَظِّمُهَا، وَفِي الْبَلَدِ الْحَرَامِ مَكَّةَ الْمَكْرَمَةِ الَّتِي مَسَخَ اللَّهُ تَعَالَى إِیْسَافَ وَنَائِلَةَ حَاجِرِیْنَ مِنْ قَبْلِ عِنْدَمَا فَجَرُوا فِي هَذَا الْبَلَدِ الْحَرَامِ! وَمَا أَمْرُ أَبْرَهَةَ الْأَشْرَمِ وَفِیْلَتَهُ وَمَا صَنَعَهُ اللَّهُ بِهِمْ عَنِ كِفَارِ قُرَیْشٍ بِبَعِيدِ!

بَدَأَ الْحِصَارُ الظَّالِمَ وَبَدَأَتْ مَعَهُ مَعَانَاةُ الْمُسْلِمِیْنَ، ظَمًا وَجُوعًا وَصَبْرًا عَلَى حَرِّ النَّهَارِ وَقَرِّ اللَّیْلِ، عُسْرًا وَمُكَابَدَةً وَضَنْكًا وَمَجَالِدَةً، أَطْفَالٌ یَتَضَاعُونَ جُوعًا وَأَمَهَاتٌ یَذْرِفْنَ دُمُوعًا، زَعَمَاءُ الْمُشْرِكِیْنَ یَحْتَمُونَ فِي بَیُوتِهِمْ مِنْ حَرِّ الرَّمْضَاءِ وَرِیْحِ الْغُبْرَاءِ، وَالنَّبِیُّ خَیْرُ الْبَرِیَّةِ وَهَادِي الْبَشَرِیَّةِ یَلْفَحُهُ الْحَرُّ وَیَلْسَعُهُ الْقَرُّ، وَالصَّحَابَةُ مَعَهُ یُكَابِدُونَ، ثَلَاثُ سِنَوَاتٍ عِجَافٍ مَرَّتْ عَلَى الْمُسْلِمِیْنَ فِي حِصَارِهِمْ، إِلَّا أَنْ مَشَاهِدَ الْمَعَانَاةِ هَذِهِ قَدْ أَحْدَثَتْ عِنْدَ نَفْرِیْ مِنْ رِجَالِ قُرَیْشٍ نَخْوَةَ الْقِرَابَةِ وَالِدَمِّ، عِنْدَمَا قَادَ هِشَامُ بْنُ عَمْرٍو - رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَیِّ - حَرَاكًا إِنْسَانِيًّا لِفُكِّ الْحِصَارِ عَنِ الْمَحَاصِرِیْنَ، وَنَجَحَ فِي اسْتِقْطَابِ أَرْبَعَةِ مِنْ رِجَالِ قُرَیْشٍ: زَهیرُ بْنُ أَبِي أُمَیَّةَ وَالْمَطْعَمُ بْنُ عَدِیِّ وَأَبِي الْبُخْتَرِیِّ بْنِ هِشَامٍ وَزَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ، اجْتَمَعَ الرَّجَالُ الْخَمْسَةُ عَلَى نَقِضِ الصَّحِیْفَةِ، وَمَا كَانَ الصَّبَاحُ ذَهَبُوا إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَنَادَى زُهَیْرٌ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ فَاجْتَمَعُوا لَهُ فَقَالَ: يَا أَهْلَ مَكَّةَ، نَأْكُلُ الطَّعَامَ وَنَلْبَسُ الثِّیَابَ، وَبَنُو هَاشِمٍ هَلَكَةُ لَا یُبَايِعُونَ وَلَا یُبْتَاعُ مِنْهُمْ؟ وَاللَّهِ لَا أَقْعُدُ حَتَّى تُشَقَّ هَذِهِ الصَّحِیْفَةُ الْقَاطِعَةُ الظَّالِمَةَ، فَقَامَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ فَرَعُونَ ذَاكَ الْعَصْرَ وَقَالَ: كَذِبَتْ وَاللَّهِ

واه لريح الخِلافة نجدها دون الغوطة بالشام

كشَّق. فقام زُعمه بنُ الأسودِ وقال: أنت واللهِ أكذبُ، ما رضينا كتابتها حين كُتبت، ومن بعدِ
قام أبو البُخترِيُّ وقال: صدق زُعمه، لا نرضى ما كُتِبَ فيها ولا نُقرُّ به، ومن بعدِ قام المُطعمُ
بنُ عديٍّ وقال: صدقتُما وكذبَ مَنْ قالَ غيرَ ذلك - يقصدُ أبا جهل - نحن نبرأ إلى الله منها
ومما كُتِبَ فيها، وهنا قامَ الرجلُ الخامسُ هشامُ بنُ عمرو - الذي قادَ هذا الحراك - وَصَدَّقَ
المطالِبينَ بنقضِ الصحيفة، فوجدَ أبو جهلٍ نفسه محاصرًا، عندها أدركَ أن هذا أمرٌ قُضِيَ بِليل...
وسبحانَ من بيدهِ تصريفُ الأمور. في هذه الأثناءِ والحالُ كذلك، يوحي ربُّ العزةِ إلى نبيِّه أن
الأرضة - دودة الأرض - قد أكلت الصحيفةَ إلا ما كان فيها من اسمِ الله فأخبرَ الرسولُ -
صلواتُ ربي وسلامه عليه - عمه أبا طالبٍ بالأمر، فأسرِعَ أبو طالبٍ إلى نادي قُرَيْشٍ، فعاجَلَهُمْ
بقوله: إنَّ ابنَ أخي قالَ كَيْتَ وكَيْتَ، فإن كان كاذبًا خَلَّينا بينكم وبينه، وإن كان صادقًا رجعتُم
عن قُطيعتنا وظلمنا، قالوا: قد أنصفتَ يا أبا طالب، وذهبوا إلى الصحيفةِ في جوفِ الكعبةِ، فإذا
بها كما أخبرَ الصادقُ المصدوقُ أكلت بكاملها إلا ما كان فيها من اسمِ الله - باسمِكَ اللهم -
ظَلَّت آيةٌ واضحة... وهنا لم يبقَ من خيارٍ إلا نقضُ الصحيفةِ بعد ثلاثِ سنواتٍ من الحصارِ الذي
داس به كفارُ قُرَيْشٍ على كلِّ محظورٍ ظنًّا من عندِ أنفسهم أنَّ الحقَّ وأهلَهُ لإرادتِهِم سيركعون!

أيها المسلمون: إنَّ الخَيْرَ كُلَّ الخَيْرِ كانَ بعدَ صبرِ المسلمِينِ على الحصارِ في الشَّعبِ، إذ خرج
المسلمونَ منه أقوى عزيمةً وأصلبَ شكيمةً، وما هي إلا ثلاثُ سنواتٍ، حتى نصرَ اللهُ رسولَهُ
والمؤمنينَ بالأنصارِ الذينَ بايعوا رسولَ اللهِ ببيعةِ العقبةِ الأولى والثانيةِ من بعدِ، فقامت دولةُ
الإسلامِ في المدينة المنورة، دولةُ ذاتِ سيادةٍ مُطلقةٍ، ليست تبعاً لأحدٍ ولا ترتهنَّ لا لرومٍ ولا
لفرسٍ، اللهُ معبودُها والرسولُ - صلواتُ ربي وسلامه عليه - قائدُها والصحابةُ من مهاجرينَ
وأنصارٍ ربُّانها، وتمَّ أمرُ اللهِ القويِّ العزيزِ، وخاب أمرُ الكافرينَ.

عبادَ الله: مع اقترابِ ثورةِ الشامِ المباركةِ من عامِها السادسِ، تستعرُّ الهجمةُ الصليبيةُ
عليها بقيادةِ رأسِ الكفرِ أميرِكا راعيةِ الإرهابِ العالمي، اللهُ أكبرُ والعزَّةُ لله... اللهُ أكبرُ والعاقبةُ
للمتقين... ثورةٌ خرجت من بيوتِ اللهِ في الشامِ، تصدح: يا الله... يا الله... ما لنا غيرك يا الله...
فعاجَلها نظامُ بشارِ بنِ أبيه البعثيِّ بالنارِ والدمارِ، وأهلُ الشامِ خيرةُ اللهِ من عبادهِ، بصدورِهِم
العاريةِ يتصدَّون، بحناجرِهِم يهتفون، الخِلافةُ مطلبُهُم، وتحكيمُ شرعِ الله غايتُهُم، وهدمُ أركانِ
العلمانيةِ أسمى أمانِيهِم، ولكلِّ مَغنمٍ مَغرمٍ، فمن كانت الخِلافةُ وتحكيمُ شرعِ الله والإطاحةُ
بالعلمانيةِ غايتَهُ؛ فلينتظر حربًا ودمارًا وتجويعًا وحصارًا... بشارُ بنُ أبيه آخرُ معاقِلِ العلمانيةِ،
إذا سقطت سقطت الأردنُّ ولبنانُ بل والمنطقةُ بأسرها، ثم أسمعُ بحكامِ المسلمِينِ وأبصرُ بِهِم
وهم يتساقطونَ طاغيةً يتبعُهُ طاغية، والوجهةُ خِلافةً على منهاجِ النبوةِ ترتكزُ في دمشق، فيها

واه لريخ الخِلافةِ نجدُها دونَ الغوطةِ بالشامِ

الغوطةُ فيها فسطاطُ المسلمين، عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - سمعتُ النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - يقول: «يومَ الملحمةِ الكبرى فسطاطُ المسلمين بأرضٍ يُقالُ لها الغوطةُ، فيها مدينةٌ يُقالُ لها دمشقٌ، خيرُ منازلِ المسلمينَ يومئذٍ» [صحيح / فضائل الشام ودمشق] جمعت أميركا خيلها ورجلها، واقتادت أوروبا خلفها، ودفعت بروسيا أمامها، تقتل وتقصف وتنسف وتدمر، وإيران وحزبها من قبلُ كذلك يفعلون، وحكامُ المسلمينَ وسطَ معمعانِ الخيانةِ يتآمرون، وتركيا أردوغان تفرضُ تأشيرياتٍ على أهلِ الشامِ الفارينَ المُحتَمينَ بأرضِ العثمانيين، ثم ذرّاً للرمادِ في العيون، يُثني داودُ أوغلو على مواطنٍ تركي استقبلَ عائلةً سوريّةً في بيته وأنفقَ عليها من ماله! وعلى الجانبِ الآخرِ طاغيةُ عمانَ يُصدِرُ الخضراواتِ إلى نظامِ بشار في وقتٍ لا تجدُ فيه مضايقا قصعةً حُزبٍ ولا رغيغ! وفي أرضِ النُبوةِ يهدي آلُ سلولٍ من آلِ سعودٍ هداياهم النفيسةَ لقاتلِ المسلمينَ أوباما وعائلتهِ في وقتٍ تندهدهُ القنابلُ والبراميلُ المتفجرةُ على الأطفالِ والنساءِ والشيوخِ، بل وعلى الرُّكعِ السجودِ في حلب! وفي غزةِ هاشمٍ مليونٌ ونصفُ المليونِ من المسلمينِ يتضاعونَ، البحرُ عن يمينهم، وإخوانُ القردةِ والخنازيرِ من خلفهم وعن شمالهم، وطاغيةُ مصرَ من أمامهم!

أيها المسلمون: لئن ثارت الحميةُ الإنسانيّةُ في صدورِ رجالٍ من قريشٍ بالأمس، فعمدوا إلى صحيفةِ أبي جهلٍ وحزبه ونقضوها، فإننا اليومَ لا نرجو حميّةً من دُعاةِ حقوقِ الإنسانِ الكذّابين، ولا ننتظرُ غوثاً من مؤسسةِ العُهرِ السياسيِّ الأممِ المتحدة، ولا نرقُبُ عوناً من حكامِ المسلمينَ الذين رضوا أن يكونوا مع أميركا في حربها الصليبيةِ على المسلمين، فقد ماتت الحميةُ في صدورِ الرجال، وباتت أميركا الكافرةُ تتبجحُ وتُعربدُ في بلادنا غُدواً وعشياً، وحكامُ المسلمينَ يقودونَ عواصفَ الحزمِ على اليمنِ وأهله، بينما يُبرقونَ نَسائمَ السَلَمِ إلى كيانِ يهودِ الجاثمينِ على صدورِ أهلِ فلسطين! وجيوشُ الأمةِ لمّا تستجِبْ بعدُ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَسْتَضْرَوْكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾. وأما علماءُ الأمةِ ومشايخُها، فساكنونَ سكونَ تاءِ التأنيثِ، لا محلَّ لهم من الإعرابِ إلا من رحمِ ربي! وأما بقيةُ الناسِ، فإما منتفعٌ ترقُصُ عيناهُ لبريقِ دراهمِ الحكامِ، وآخرونَ من دونهم يصدقُ فيهم قولُ النبيِّ - عليه الصلاةُ والسلام - فيما رواه مسلمٌ عن أمِّ سلمة - رضي الله عنها - «إنه يُستعملُ عليكمُ أمراءُ فتعرفونَ وتُنكرونَ، فمن كرهه فقد برئ، ومن أنكره فقد سلِم، ولكن من رضيَ وتابع...» فأكثرُ الناسِ رضوا بهذا الواقعِ واطمأنوا به وتابَعوا الحكامَ وما يصنعون دونَ أن يُظهروا شيئاً من نكيرٍ عليهم إلا من رحمَ الله!

الخطبة الثانية:

أيها المسلمون الصابرون في الأرضِ المباركةِ فلسطين، أيها الثوارُ الأشاوس في أرضِ الشامِ عُقرِ دارِ الإسلامِ، إنَّ نبيَّكم - صلواتُ ربي وسلامُهُ عليه - وأصحابُهُ الذين حُوصروا في الشَّعبِ، لم

واه لريح الخِلافةِ نجْدها دونَ الغوطةِ بالشامِ

مخرجوا منه أقوىاءَ أنقياءَ أنقياءَ إلا بعد ثباتهم أمامَ فتنةِ الصَّحيفةِ الظالمةِ، فلما رأى اللهُ فيهم عزيمةَ الرجالِ وجلَدَ المؤمنينَ الصابرينَ الثابتينَ ثباتَ الجبالِ؛ أخرجهم اللهُ من محتنتهم، وبأرضه الأرضَ أحبطَ كيدَ أعدائهم بهم، وليس لكم أنتم خاصةٌ يا نُوارَ الشامِ واللهِ إلا الاعتصامُ بحبلِ اللهِ دونَ حبالِ أميركا، والاستمسكُ بعروتهِ الوثقى دونَ عُرى الكائدينَ بكم وبثورتكم، فحبلُ اللهِ متينٌ، مَنْ اعتصمَ بهِ اعتصمَ بحبلِ غيرِ منقطع، وأما حبلُ أميركا فبالِ، من أمسكَ بطرفه ولو متردداً سحبتُهُ أميركا إلى مصارعِ الذلِّ في مؤتمراتِ جنيفِ الأولى والثانيةِ والثالثةِ الأخرى... قال جلٌّ في غلاه: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾. قال ابنُ مسعودٍ في قوله ﴿بِحَبْلِ اللَّهِ﴾: هو الجماعة... وقال: عليكم بالجماعةِ فإنها حبلُ اللهِ الذي أمرَ بهِ، وإما تكهونَ في الجماعةِ والطاعةِ خيرٌ مما تحبونَ في الفرقة... وعروهُ اللهُ وثقى لا انفصامَ لها، من استمسكَ بها فقد نَجى ونَجى معه، وأما عُرى الكفارِ فمفصمة، قال العزيزُ الحكيم: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

أيها الثوار، يا أهلنا في الشامِ، عُقرِ دارِ الإسلامِ: حُقَّ للعالمِ كُلِّهِ أن يجثوَ على الرُكْبِ إجلالاً لثورتكم، إنها ثورةٌ حضاريةٌ ربَّانيةٌ عادلةٌ، إنها الثورةُ التي مرَّغت كبرياءَ بشارِ الطاغيةِ في الترابِ، إنها الثورةُ التي استنفرت أميركا كُلَّ حلفائها وجُلَّ عملائها لوأدها فما استطاعوا، وزجَّت بروسيا وسلاحها وعتادها لتركيبتها فما استطاعوا... فاحذروا، يا رعاكم اللهُ، أن تُسلموا قيادكمَ لأميركا وأردوغانها وسلمانها وائتلافها التالفِ العميلِ، بل أسلموا قيادكمَ لله ربِّ العالمين، الذي وعدَ عبادةَ العاملينَ الصادقينَ بالنصرِ والتمكينِ ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، أسلموا قيادكمَ لقدوةِ الناسِ أجمعين، رسولِ اللهِ الذي أقامَ دولةَ الإسلامِ الأولى وشيَّدَ بُنيانها بيديه الشريفتين، بل إنَّ الدماءَ قد سالت من قدَميه، بآبي هو وأمي وروحي، وهو يعمل لإقامتها، وهو القائل فيما رواه الطبرانيُّ عن أبي أمامةٍ - رضي اللهُ عنه - «صفوةُ اللهِ من أرضهِ الشامِ، وفيها صفوتهُ من خلقهِ وعباده...» وقد جالدمُ النظامَ البعثيَّ خمسَ سنواتٍ دونَ أن تلبينَ لكم قناة، فاضربوا ما بقيَ من أركانهِ، وأقيموا دولةَ الخِلافةِ مكانه، وعندها ستذركم الأمةُ كُلُّها بخير، ويذكركم ملائكةُ الرحمنِ بخير... اللهُ اللهُ لثورتكم... واه لريح الخِلافةِ نجْدها دونَ الغوطةِ... هبَّت رياحُ النصرِ ما أطيبها، لَبَّت صفاحُ الثَّارِ ما أصرمها! ولكأني بطائراتٍ من الجوِّ تقصف، وبارجاتٍ من البحرِ تنسف، ودباباتٍ ومجنزراتٍ من البرِّ تزحف، صوبَ الأرضِ المباركةِ فلسطين، تتلو من الإسراءِ صدرها، وتنزلُ هذي الجيوشُ بالخِلافةِ الأرضِ المقدسةَ عُقرَ دارها، فيا ربُّ... يا ربُّ... يا ربُّ قد دعوناك موقنين، فلا تردِّدنا خائنين. □

بسم الله الرحمن الرحيم

مسلمون أم إسلاميون

أبو راتب - الخليل

يعتبر التفاهم بين الناس من ضروريات الاتصال والتعامل فيما بينهم. فكانت اللغات من أهم الأدوات للتعبير عما يدور في الأذهان وتتصوره العقول، وإنه وإن كانت اللغة لا تعبر عن الحقيقة دائماً لأن الذي يعبر عن حقيقة الواقع هو الفكر فإنها أي اللغة لازمة عند إيصال الفكر إلى الآخرين بالكلام أو التدوين، وهي الوعاء للفكر وليست الفكر. وألفاظ اللغة منها ما هو خاص بوجهة نظر معينة مثل كلمة الحرية ومعناها عند الديمقراطيين، ومثل كلمة البيعة عند المسلمين، ومنها ما لا علاقة له بوجهة النظر وهي الألفاظ التي اصطلح عليها في أصل الوضع وبقيت على وضعها، وهناك المصطلحات ذات الاختصاص والتي لا علاقة لها بوجهة النظر كذلك، مثل كلمة جراحة في مجال الطب.

والأصل أن تكون اللغة العربية لغة المسلمين إذا تيسر لهم ذلك؛ لأنها لغة القرآن الكريم وبها يفهم الإسلام. وبالأستقراء يتبين أن اللغة العربية تحتوي على ثلاثة ألفاظ، منها الألفاظ ذات الحقيقة اللغوية الوضعية مثل كلمة الشمس والقمر أو كلمة التاريخ وهكذا. وهناك الألفاظ العرفية التي وقع التعارف عليها مخالفة للأصل، ومخالفة للمدلول الذي وضعت له، مثل كلمة الدابة التي كان مدلولها في الوضع هي كل ما يدب على الأرض، واختصت فيما بعد بالدابة التي نعرفها وتمشي على أربع. وأما الثالثة فهي الحقيقة اللغوية الشرعية، وهي الاسم الشرعي مثل كلمة الحج والصلاة والجهاد، ومثل كلمة المسلمين التي لا بد من الحرص عليها وعلى كل حقيقة، وينبغي استعمالها كما هي وكما وردت للمدلول الذي جعلت له؛ لأن الإسلام نهى عن تسمية الأفعال أو الأشياء بغير مسمياتها ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾...

ونحن المسلمين اليوم إذ نصارع صراع الحضارات، فإن كلمة المسلمين لم تسلم حتى هي من المغالطة والتضليل، ولا يلجأ إلى المغالطة والتضليل إلا من أفلس وافتقر إلى الحجة والبرهان، في حين أننا حين نصارع أفكار الكفر والأسس التي بنيت عليها ننقضها بالحجة والبرهان، ولا نلجأ إلى ما يلجأ إليه الأعداء من مغالطة

وتضليل، وحين ييثر بيننا كلمة الإسلاميين مثلاً نجد الكثير من رجال الصحافة وغيرهم من الكتاب يستعملونها لتدل على فئات أو جماعات من المسلمين، ما هو إلا مغالطة وتضليل للتمييع وخربطة الأوراق، ومتى كان المسلمون إسلاميين. حتى إن استعمال هذه الكلمة لهذا المدلول ما كان إلا حديثاً جراء ما تقدم .

وبالرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال الصحابة ومن أتى بعدهم لم نجد لهذه الكلمة استعمالاً لهذا المدلول ولا غيره أبداً، وما ورد في القرآن الكريم لهذا المدلول قوله تعالى ﴿هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ﴾، وفي قوله ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾، وفي قوله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٣). وهنالك الكثير من الآيات بهذه التسمية ولهذا المدلول.

وفي الحديث قوله عليه الصلاة والسلام (المسلم أخو المسلم)، وقوله تعالى (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده). وكلمة المسلم كانت في الحقيقة الوضعية معناها المطيع المنقاد، ثم صار مدلولها في الحقيقة الشرعية الذي آمن بالله ورسوله، والجمع لكلمة المسلم هو (المسلمون)، وهم الذين يشهدون الشهادتين طبقاً للحقيقة الشرعية كما هي في الكتاب والسنة، وليس لنا أن نخالف ذلك ونقول عن بعض المسلمين (إسلاميون أو إسلاميين) ليكون مفردها إسلامي.

ولكن ليس معنى ذلك أن كلمة (إسلامي) لا وجود لها في اللغة العربية؛ لأن التصريف والتنسيب موجود في اللغة العربية، وهو جائزٌ هنا لغير العاقل، كأن تقول بلد إسلامي نسبة إلى الفتح الإسلامي، أو تقول فهم إسلامي ومفاهيم إسلامية ومجتمع إسلامي، وأما ما كان عالمياً فلا ينسب إلى الإسلام؛ لذلك لا يقال تطيب إسلامي لأن التطيب عالمي، وعليه فإن استعمال كلمة إسلاميين بدل من مسلمين يكون مخالفاً للحقيقة اللغوية الشرعية. هذا من ناحية، وأما من الناحية اللغوية فإن اسم العاقل مثل المسلم يجمع جمع المذكر السالم؛ فيكون مسلم مسلمون والمفرد المذكر لغير العاقل كبلد إسلامي يجمع بالمفرد المؤنث فنقول بلاد إسلامية؛ فلا يوجد إداً حتى من الناحية اللغوية جمع ينتهي بالإسلاميين. وعليه فلا بد من الحذر تجاه هذا النوع من التضليل والالتزام بتسمية الأفعال والأشياء بمسمياتها كما وردت في الحقيقة اللغوية والشرعية. □

بسم الله الرحمن الرحيم

ارتباط العبادات بالزمن في الإسلام: الحج (٣)

تحديد الحج بأشهر معلومات

عبادة الحج معيارٌ على مدى الالتزام ببذل الجهد والمال في سبيل الله، كما أنها الأساس العملي والنظري للمناهج السياسي الإسلامي الذي يتجسّد في وحدة المسلمين وتضامنهم. وقد بين القرآن الكريم، أنّ أداء الحج مرتبط بفترة زمنية معينة، ينبغي التقيد بها، وذلك في موضعين:

١- قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْأَمْرُ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْأَمْرَ مِنَ الْأَقْصَىٰ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَفَوْا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

جاء في سبب نزول هذه الآية: أن معاذ بن جبل -رضي الله عنه - قال: يا رسول الله؛ إن اليهود تغشاننا، ويكثرّون من مسألتنا عن الأهلة، فأنزلت. [انظر: علي بن أحمد الواحدي، أسباب النزول]

وقيل: نزلت في رجلين من الصحابة؛ قالوا: يا رسول الله؛ ما بال الهلال يبدو دقيقاً، ثم يزيد ويمتلئ، حتى يستدير ويستوي، ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان، فنزلت. [انظر: المصدر السابق. وزاد المسير في علم التفسير. والجامع لأحكام القرآن]

وكوّن الأهلة مواقيت ليس مما يخفى عنهم حتى يسألوا عنه؛ لأنّ ذلك معروف بينهم، فيتعين بذلك أنهم يسألون عن الحكمة والسبب، وعليه يكون الجواب بقوله: «قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ» غير مطابق للسؤال، وإنما جاء على خلاف مقتضى الظاهر، وذلك بصرف السائل إلى غير ما سأل، تنبيهاً على أنّ ما صُرف إليه هو المهم له، لأنهم في مبدأ تشريع جديد، وكان المهم أن يسألوا الرسول ﷺ، عما ينفعهم في صلاح دنياهم وأخراهم، وهو معرفة كون الأهلة ترتبت عليها آجال المعاملات والعبادات، كالحج والصيام والعدّة، ولذلك صرفهم عن بيان مسؤولهم إلى بيان فائدة أخرى، والرسول لم يأت مبيّناً لعلل اختلاف أحوال الأجرام السماوية، والسائلون ليسوا على دراية بعلم الهيئة [انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير. وسيد قطب في ظلال القرآن]

أما أفراد الحج بالذكر في قوله: ﴿مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ فذلك اعتناءً به، لأن الوقت أشدّ لزوماً له من بقية العبادات، وذلك لأنه لا يصح فعله أداءً ولا قضاءً إلا في وقته المعلوم، وأما غيره من العبادات، فلا يتقيد قضاؤه بوقت أدائه. انظر: سليمان بن عمر الجمل: الفتوحات الإلهية.

وأحمد بن يوسف السمين الحلبي: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. ومحمد العمادي أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم]

٢- قوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَكْزُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿١١٧﴾

ويدل هذا النص على أن للحج وقتًا معلومًا، وأن وقته أشهر معلومات، وهذه الأشهر هي: شوال، ذو القعدة، وعشر من ذي الحجة.

ولم يسم الله هذه الأشهر في كتابه؛ وذلك كما يقول القرطبي: «لأنها كانت معلومة عندهم» [انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن].

ودلت السنة النبوية على وجوب الحج مرة واحدة في العام، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فقال: «يا أيها الناس قد فُرِضَ عَلَيْكُمْ الْحَجُّ فَحُجُّوا» فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت، حتى قالها ثلاثًا، فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم» ثم قال: «ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة السؤال، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه» رواه مسلم.

أما الأسرار والحكم في توقيت الحج على هذا النحو، فهي كالآتي:

١- في التحديد الزمني لوقت الحج من الله سبحانه وتعالى، إنهاءً للجدال في مواقيته الزمانية، فقد فسّر مجاهد وطائفة معه الجدل في الآية بأنه المماراة في الشهور، حسب ما كانت عليه العرب من النسيء، فكانوا يقدّمون الحج سنة، ويؤخرونها أخرى، وربما جعلوه في غير ذي الحجة، ويقف بعضهم بعرفة، وبعضهم بمزدلفة، ويتمارون في الصواب من ذلك. فأخبر سبحانه وتعالى أنه قد ارتفع الخلاف في الحج، وردّ الجميع إلى وقت واحد، لا يجوز الخروج عنه، وليس لهم فيه شيء من التقديم أو التأخير، وهو أمر ثابت من الله عز وجل، فالحج شأنه شأن العبادات الأخرى، مرتبط بوقته، وهو هذه الأشهر، فلا يخرج عنها انظر: الرخشري: الكشف. والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن].

وعلى هذا فقد ذهب الإمام الشافعي - رحمه الله - إلى أنه لا يصح الإحرام بالحج إلا في هذه الأشهر المعلّومات [انظر: تقي الدين الحُصَني، كفاية الأَخيار في حل غاية الاختصار]. وإن كان غيره يعتبر الإحرام به صحيحًا على مدار السنة، ويخص هذه الأشهر المعلّومات لأداء شعائر الحج في مواعيدها المعروفة. إلا أن ما ذهب إليه الشافعي هنا هو رأي جمهور العلماء، وهو الأصح كما يقول القرطبي [انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، ص ٤٠٦].

٢- ومن الحكم والأسرار في ذلك، أنَّ احتياج الحج للتوقيت أمر ضروري، ذلك أنَّ من مقاصد الحج، أن يكون مؤتمراً سنوياً، يجتمع فيه المسلمون على اختلاف بلادهم، وأجناسهم، وألوانهم، ولغاتهم، لما في ذلك من الأثر البالغ في تربية النفوس، وفي تقوية أواصر المحبة والوحدة بين المسلمين، ولو لم يكن مثل هذا التوقيت والتحديد لزمن الحج، لجاء الناس إليه متخالفين، فلم يحصل المقصود من اجتماعهم.

يقول المودودي متحدثاً عن منافع الحج: «إن مكة المكرمة قد جعلت مركزاً للمسلمين، تهوي إليه نفوسهم من جميع نواحي الأرض، على اختلاف سلالاتهم وأوطانهم، فيشعرون أنهم إخوة فيما بينهم، وأنهم لا يؤلفون بمجموعهم إلا أمة واحدة؛ فكان الحج هو عبادة لله تعالى في جانب، ومؤتمر عالمي سنوي يقدُّ إليه المسلمون من جميع نواحي الأرض وأقطارها في الجانب الآخر، فهو أكبر وسيلة وأنجح طريقة لتربية الأخوة الإسلامية العالمية على الاتحاد والمحبة والتعاون» [انظر المودودي: مبادئ الإسلام، ص ١١٢].

وعليه فقد أصبح المسجد الحرام مركزاً للهداية والإشعاع الروحي، ويجتمع فيه العالم الإسلامي كل عام يؤدي خواجه من الطاعة وضريرته من الحب والانقياد، ويثبت تمسكه بهذا الحبل المتين ولجوءه إلى هذا الركن الركين، ويطوف حوله الزعماء والفقراء فيجتمعون على تفرُّق، ويلتقون على نقطة واحدة.

يقول الشيخ ولي الله الدهلوي عن هذا المؤتمر السنوي الذي يجتمع فيه المسلمون كل عام: «فإن لكل دولة أو ملة اجتماعاً يتوارده الأقباط والأداني ليعرف فيه بعضهم بعضاً، ويستفيدوا أحكام الملة ويعظموا شعائرها، والحج عرصة المسلمين وظهور شوكتهم واجتماع جنودهم وتنويه ملتهم». [انظر الدهلوي: حجة الله البالغة، ج ١، ص ٥٩].

٣- وثمة سرٌّ في تحديد زمن أشهر الحج من العام، ذلك أن هذه الأشهر تبدأ بعد شهر رمضان، مما له الأثر العظيم في استدامة التقويم الخُلقي، والصفاء الروحي، الذي حصل عليه المسلم بالصيام والقيام في رمضان، فيتصل الحج بالصيام ليجعل المسلم دائماً مع الله.

«فإذا كان المؤمن في رمضان، قد تعلقت نفسه بربه، وامتنع عما أبيض له من مقومات الحياة، فإنه بدخول شوال؛ يملأ قلبه بالشعور باستئناف رحلة أخرى، تشترك فيها الروح مع البدن، ويترك وراءه الأهل والوطن، ويتحمل في سبيل تحقيقها عناء الطريق ومصاعب السفر، إنه يقطع أكثر وقته؛ ذليلاً خاشعاً معترفاً بالتقصير، ملتتمساً العفو والغفران، والمعونة والرضوان، حتى إذا ما فرغ من مناسكه، واطمأنَّ إلى حُسن عمله، عاد إلى وطنه آمناً مطمئناً، قوياً في نفسه، سليماً في عقيدته». [انظر بدران أبو العينين: العبادات الإسلامية مقارنة على المذاهب الأربعة، ص (١٨٣-١٨٤). □

أخبار المسلمين في العالم

البنتاغون: فقدنا ١٩ طيارًا في الحرب ضد «تنظيم الدولة»

نقلت قناة روسيا اليوم الإخبارية عن وكالة نوفوستي للأنباء تصريحًا لوزيرة سلاح الجو الأميركي ديبورا لي جيمس أكدت فيه فقدان القوات الجوية الأميركية ١٩ طيارًا منذ بدء العمليات ضد تنظيم الدولة. وقالت الوزيرة في مؤتمر صحفي في البنتاغون: "فقدنا ١٩ طيارًا، ٨ منهم قتلوا نتيجة أعمال العدو".

الاستخبارات البريطانية: الخارجية تجهز ملأً عن جرائم «بوتين» في سوريا

أعلنت صحيفة "دايلي ميل" البريطانية، أن الاستخبارات الخارجية البريطانية تجري تحقيقًا حول ممارسات موسكو العسكرية في سوريا، مشيرةً إلى أن هذه التحقيقات تسمح بإدانة الرئيس الروسي "فلاديمير بوتين" بجرائم حرب. وأكدت الصحيفة تواجد عناصر أمن بريطانيين في لبنان، يتابعون تطور الأحداث السورية عبر استقصاءات يحصلون عليها من هاربين من مناطق القصف، كما أشارت إلى وجود محققين بريطانيين في السفارة البريطانية ببيروت لهذا الغرض. وكان "فيليب هاموند"، وزير الخارجية البريطاني حذر روسيا بأن الضربات على المستشفيات ترقى لجرائم حرب.

قورتولوش: النار ستلتهم الجميع إن لم تحل الأزمة السورية

أكد نائب رئيس الوزراء التركي نعمان قورتولموش، أن فشل المساعي والجهود لإيجاد حل سياسي وسلمي في سورية لن ينعكس عليها فقط، وإنما على جميع دول المنطقة، وأشار نائب رئيس الوزراء، إلى أن "الأزمة السورية التي استمرت ٥ سنوات تحولت إلى حرب أهلية... ثم انتقلت إلى حرب دولية بالوكالة داخل الأراضي السورية، لتنتهي الحرب بالوكالة مع تدخل النظام الروسي بشكل مباشر في سورية بشهر أيلول/سبتمبر الماضي، وتبدأ الحرب المباشرة والفعلية بين القوى الدولية على الأرض السورية، تلك الحرب التي تشارك فيها روسيا وإيران وأميركا وربما حتى الصين، كثير من الجيوش الدولية توجد في سورية وعلى مشارفها، وتوجد قوى التحالف هنا في تركيا، ونحن إذا لم نقم بحل الأزمة السورية سلمياً فإن النار ستلتهم الجميع".

فايننشال تايمز: ضغط أميركي لمنع أقترة والرياض من التدخل بسوريا

نشرت صحيفة "فايننشال تايمز" تقريراً تحدث عن الضغوط التي تمارسها الولايات المتحدة على كل من تركيا والسعودية؛ لمنع تدخلهما العسكري في سوريا إن فشل وقف إطلاق النار، بحسب ما اتفق عليه في مؤتمر ميونيخ. ويقول التقرير إنه على الرغم

من الإحباط الكبير الذي يسود دول الإقليم من المواقف التي عبرت عنها واشنطن تجاه الأزمة السورية، إلا أن إدارة باراك أوباما والدول الغربية عبرت عن قلقها من تصعيد الأزمة العسكرية ومواجهة خطيرة مع روسيا. وينقل التقرير عن دبلوماسي في حلف الناتو، قوله: "هل سننشر قوات هناك؟ لا، إن كان الأمر بحسب ما نرغب"، مشيراً إلى أنه في الوقت الذي تخشى فيه كل من أنقرة والرياض التدخل عسكرياً دون غطاء أميركي، إلا أنهما غاضبتان مما تريانه فشلاً أميركياً واضحاً لتبني موقف أكثر حسماً من نظام بشار الأسد.. □

ديفيد إغناطيوس: سوريا أعقد ميدان حرب في العالم منذ عقود

وصف المعلق الأميركي ديفيد إغناطيوس في تقرير نشرته صحيفة "واشنطن بوست"، النزاع في سوريا، بأنه وصل إلى النقطة الحرجة. ويقول إغناطيوس إن "لوم الرئيس الأميركي على أخطائه الماضية فيما يتعلق بسوريا قد يرضي النفس، وهو يستحق اللوم، لكن هذا ليس سياسة"، واصفاً الحرب في سوريا بأنها "أعقد ميدان حرب شهده العالم منذ عقود، وعلى الولايات المتحدة وحلفائها التفكير ملياً في أي خطوة سيتخذونها". ويدعو الكاتب الولايات المتحدة إلى التحرك نحو تطبيق اتفاق وقف إطلاق النار، محذراً في حالة فشل الدبلوماسية، فما سيأتي بعد سيكون سيئاً على الجميع، ويشير الكاتب إلى أنه "في الكابوس السوري، فإن أي خطوة صغيرة تعد إنجازاً؛ ولهذا علينا ألا نتجاهل ما جرى من إرسال مواد الإغاثة إلى خمس مناطق محاصرة قرب دمشق، وهي خطوة أولى وهشة تجاه تخفيف التصعيد، لكنها علامة إيجابية". ويذهب الكاتب إلى أن "المعركة حول حلب هي فوضى وخليط من مقاتلين وقوى أجنبية، ففي منطقة صغيرة هناك القوات التابعة للنظام، التي تلقى دعماً من الروس وإيران، وهناك المقاتلون الأكراد، الذين تدعمهم الولايات المتحدة، فيما تقوم تركيا بقصف الأكراد، وهناك المقاتلون السوريون، الذين تدعمهم السعودية والمخابرات الأميركية، بالإضافة إلى جبهة النصرة والفصائل المتحالفة معها، وأخيراً تنظيم الدولة، الذي يريد التخلص من الجميع. □

هجوم منظم روسي - أميركي لـ "حشر" تنظيم الدولة في شرق سورية بشكل تدريجي

يواجه تنظيم "الدولة الإسلامية" مواجهات عنيفة على طول الأراضي التي يسيطر عليها في العراق وسورية، وتزداد تحدياته مع الضربات النوعية من قبل طيران التحالف الدولي التي تستهدف بشكل أساسي موارد تمويل التنظيم، كتدمير منشأة له تحوي أموالاً قيمتها ملايين الدولارات في مدينة الموصل، حسبما صرح مسؤول أميركي في يناير/ كانون الثاني الماضي.

أخبار المسلمين في العالم

وبالموازاة مع ذلك تتعرض مخازن أسلحة التنظيم لاستهداف محكم من قبل الطيران أيضًا، كان آخرها استهداف مخزن كبير في محافظة الرقة (المعقل الأساسي للتنظيم في سورية) يوم ٢٦ من الشهر الفائت، ومثل هذه الضربات باتت تؤثر على قدرات التنظيم سيما وأنه يقاتل على جبهات عدة في سورية. ومع بدء تنفيذ اتفاق وقف إطلاق النار بالعديد من المدن ما يزال "تنظيم الدولة" يتلقى الضربات ويخوض المعارك لكون الاتفاق الأميركي - الروسي يستثنيه مع تنظيم "جبهة النصرة"، ويبدو أن التنظيم الآن يواجه مخططاً عسكرياً منظماً هدفه حشر التنظيم بشكل أساسي في شرق سورية، وإبعاده عما سواه بشكل تدريجي.. □

الولايات المتحدة تبدأ بناء مطارين لها في سورية

كشفت مصادر عسكرية في قوات "سوريا الديمقراطية" التي ترعاها أميركا، عن أن القوات الأميركية باشرت ببناء مطارين عسكريين كبيرين في شمال وشرق سورية. مؤكداً أنهما سوف يستخدمان لأغراض عسكرية ومدنية معاً. وأضاف المصدر أن "المطار الأول تبنيه القوات الأميركية في محيط المطار الزراعي، في منطقة رميلان بريف الحسكة، مشيراً إلى الانتهاء من بناء مدرج طويل، وسط استمرار عمل عشرات المستشارين العسكريين والخبراء والفنيين فيه". ونوّه إلى أن "المطار الثاني بدأت أعمال إنشائه في محيط قرية خراب عشك الواقعة جنوب شرق مدينة عين العرب (كوباني)، لافتاً إلى "تخصيص مساحة تقدر بعشرة هكتارات لموقع المطار"، مؤكداً أن "جهوداً كبيرة تبذل من قبل القوات الأميركية لانتهاج من بناء المطارين في أقرب وقت ممكن لاستخدامهما لأغراض عسكرية ومدنية معاً". □

المخابرات الأميركية: روسيا وإيران وحزب الله سيزيدون دعمهم للأسد في ٢٠١٦م

"توقع" مدير جهاز المخابرات العسكري الأميركي، "اللفتنان فسننت ستيوارت"، عمل إيران وميليشيا "حزب الله" اللبناني خلال ٢٠١٦م لزيادة توفير التدريب والمعدات والتمويل للقوات التي تدافع عن نظام بشار الأسد؛ وذلك في تصريحات له خلال تقييمه للتهديدات العالمية في جلسة استماع أمام لجنة الكونغرس لشؤون القوات المسلحة. وذكر ستيوارت أنه "في أواخر عام ٢٠١٥م، نشرت إيران أكثر من ألف عنصر من القوات البرية للمشاركة في العمليات القتالية في سورية. وتزامن وصول القوات البرية الإيرانية مع بدء الضربات الجوية الروسية وزيادة الدعم الروسي للعمليات الموالية للنظام. وعمقت طهران وموسكو تعاونهما وتنسيقهما للعمليات في سورية للحفاظ على حليفهما (الأسد)، في حين تشارك أيضاً في المحادثات الدبلوماسية الرامية إلى إنهاء الحرب". □

اتفاق أميركي إيراني سري في عام ٢٠١٤م يطبق حاليًا في سورية والسعودية

كشفت موقع "السورية نت" عن اجتماع سري بين مسؤولين رفيعي المستوى من الولايات المتحدة الأميركية ونظرائهم الإيرانيين في سلطنة عمان، أكدت صحته فيما بعد وكالة الأناضول، جرى في أغسطس/آب عام ٢٠١٤م. واتفق الطرفان حينها على عدة نقاط تتعلق بالوضع في سورية، وعلى رأسها الإبقاء على بشار الأسد في السلطة، وإضعاف السعودية من قبل إيران برضى أميركي. ويبدو أن بنود الاتفاق أصبحت أمرًا واقعيًا بعد نحو عام ونصف على ذلك الاتفاق الذي هدف بالدرجة الأولى إلى إعادة تأهيل الأسد واعتباره الخيار الأفضل من تنظيم "الدولة الإسلامية"، ويلحظ أن الطرفين ساهما في تحويل حل القضية السورية من رحيل الأسد إلى مكافحة الإرهاب ممثلًا بالتنظيم، و"جبهة النصرة" وغيرها من "التنظيمات الإرهابية"، حسبما ترى أميركا ودول أخرى. وكان من بنود الاتفاق بين الطرفين إضعاف المعارضة السورية أمام الرأيين المحلي والعالمي. ومن بين النقاط الهامة الأخرى التي تطرق إليها الطرفان في ٢٠١٤م، هو أن تحول إيران الأراضي السعودية إلى ساحة مواجهة مع عناصر "تنظيم الدولة..."

مدير وكالة الاستخبارات الأميركية السابق مايكل هايدن: ما يحدث في الشرق الأوسط هو انهيار أساسي للقانون الدولي الذي تم الاتفاق عليه بعد الحرب العالمية الثانية.

قال مدير وكالة الاستخبارات الأميركية السابق مايكل هايدن في تصريح لقناة "سي إن إن" إن "سوريا لم تعد موجودة والعراق لم يعد موجودًا، مضيغًا أنهما لن يعودا إلى ما كانا عليه. وصرح مايكل هايدن في السياق ذاته بأن لبنان يتفكك وليبيا قد انتهت منذ فترة. هذا وأفاد مديرًا وكالة الأمن الوطني "إن إس إيه" ومدير وكالة الاستخبارات الأميركية السابق "سي آي إيه" أن الشرق الأوسط يشهد تغييرات إقليمية كبيرة، مشبهًا التغييرات كتغيرات في طبقات الأرض السفلى، مثل التي غيرت القارات. وأضاف هايدن أن ما يحدث في الشرق الأوسط هو انهيار أساسي للقانون الدولي الذي تم الاتفاق عليه بعد الحرب العالمية الثانية. وأشار المسؤول الأميركي إلى أن السياسة الأميركية الحالية في الشرق الأوسط جيدة في معارك مباشرة، مؤكدًا أنها على مدى ثلاثة أو عشرة أعوام، لن تقدر على منع الإرهابيين من إلحاق خسائر بمصالح الولايات المتحدة، وبأرواح الأميركيين. وشدد مايكل هايدن قائلاً "العالم تغير كثيرًا، ويجب علينا، نحن هنا في الغرب، أن ننتبه إلى ذلك". هذا وتوقع هايدن أن تستمر الحرب على الإرهاب لخمس سنوات على الأقل، معرجًا بالقول إن هذه الحروب ستستنزف منطقة الشرق الأوسط.

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَيْسْتَ جِيبُوا لِي وَلِيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (١٨٦)



جاء في كتاب التيسير في أصول التفسير لمؤلفه
عطاء بن خلیل أبو الحسن
أمير حزب التحرير حفظه الله في تفسيره لهذه الآيات ما يلي:

أخرج ابن أبي حاتم أن أعرابياً سأل رسول الله ﷺ: "أقريب ربنا فنناجيه أو بعيد فنناديه؟ فسكت النبي ﷺ، فأنزل الله الآية الكريمة ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ الآية".^١

فالله سبحانه في هذه الآية يخبرنا أنه قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، فالله يسمع دعوة عبده ولا يخفى عليه شيء وهو سبحانه يجيبه ولا يرده خائباً، فالله قريب من عباده يسمع ويرى على نحو قوله سبحانه لموسى وهارون - عليهما السلام - ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ طه/آية ٤٦ أو كما قال ﷺ: "قال الله تعالى أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفثاه".^٢

ثم يطلب الله جل ثناؤه من عباده أن يستجيبوا لله ويؤمنوا به فيطيعوه ويلتزموا شرعه ولا يدعوه وهم يعصونه. فاستجابتهم لله تقربهم إلى الله فلعلهم بذلك يهتدون للأخذ بالأسباب التي تجعل دعوتهم مستجابة ﴿ فَلَيْسْتَ جِيبُوا لِي وَلِيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾.

فائدة عن الدعاء:

وهنا لا بد من وقفة لنذكر بعض الأمور المتعلقة بالدعاء ليكون الأمر واضحاً للعبد عند دعائه ربه سبحانه:

١. الدعاء عبادة بل هو مخ العبادة لقوله سبحانه ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (٦٠) ﴿ غَافِرًا ﴾ آية ٦٠ فالله جعل الدعاء عبادة فقال سبحانه في الآية ﴿ عِبَادَتِي ﴾ بعد ذكر ﴿ ادْعُونِي ﴾ وهذا على نحو قوله ﷺ: "الدعاء مخ العبادة".^٣

١ الدر المنثور: ٤٦٩/٢، تفسير الطبري: ١٥٨/٢

٢ ابن ماجه: ٣٧٨٢، أحمد: ٥٤٠/٢

٣ الترمذي: ٣٢٩٣، أحمد: ٢٧١/٤

فالدعاء عبادة والله يحب عبده الذي يدعوه ويلج في الدعاء «إن الله يحب الملحين في الدعاء»^٤ فمن لم يدع الله يكن قد ترك خيراً كثيراً، فإن كان عدم دعاء الله سبحانه استكباراً كان صاحبها من جملة من قال الله فيهم ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ أذلاء صاغرين مهانين.

٢. إن الله سبحانه بين لنا أن ندعوه ونحن مستجيبون له سبحانه نلتزم شرعه ونقتدي برسوله ﷺ ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾. وكما قال ﷺ: "يدعو الله ومأكله من حرام ومشربه من حرام فأني يستجاب له".^٥

٣. إن الدعاء - وهو عبادة - لا يعني أن نترك الأخذ بالأسباب وهذا بين في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فالله يقول ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ أي لعلهم يهتدون للأخذ بالأسباب ويوفقون فيها لتكون دعوتهم مستجابة.

والرسول ﷺ يجهز الجيش في بدر ويرتب الجند كلاً في موقعه ويُعدُّهم الإعداد الجيد للقتال، ثم يدخل رسول الله ﷺ العريش يدعو الله النصر ويكثر في الدعاء حتى يقول له أبو بكر رضي عنه: "بعض هذا يكفيك يا رسول الله".^٦

ثم إن الرسول ﷺ لما أذن الله له بالهجرة من مكة إلى المدينة، اتخذ كل ما يمكن أن يتخذه بشر من الأسباب التي تؤدي به إلى النجاة في الوقت نفسه الذي يدعو الله فيه على كفار قريش أن يصرفهم الله عنه وينجيه من مكرهم ويوصله المدينة سالمًا.

فبدل أن يتجه صلوات الله وسلامه عليه إلى الشمال حيث المدينة اتجه إلى الجنوب واختفى في غار ثور هو وأبو بكر رضي عنه، ثم كان يستقبل الأخبار عن قريش وما تخطط وتدبر له من قبل عبدالرحمن بن أبي بكر، ثم عندما يعود إلى مكة يجعل غلام أبي بكر يرجع بالغنم إلى مكة خلفه ليطمس أثر الغنم أثر ابن أبي بكر لتضليل كفار قريش، وبقي ثلاثة أيام إلى أن خفَّ الطلب عليه ﷺ فواصل السير إلى المدينة المنورة، وكل ذلك ورسول الله ﷺ كان واثقًا من وصوله إلى المدينة سالمًا فهو يجيب أبا بكر وقد خشي وصول كفار قريش إليهما عندما رأهم أمام الغار، فيقول للرسول ﷺ: إن أحدهم لو نظر إلى موطن قدميه لرآنا، فيقول له الرسول ﷺ: "ما ظنك باثنين الله ثالثهما"^٧ ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِينَ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ

٤ أخرجه الطبراني في الدعاء بسند رجاله ثقات إلا أن فيه عنعنة (بقية) عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً (فتح الباري: ٩٥/١١)

٥ الترمذي: ٢٩١٥، أحمد: ٣٢٨/٢، مسلم: ١٠١٥، الدارمي: ٣٠٠/٢

٦ سيرة ابن هشام: ٦٢٦/٢

٧ البخاري: ٣٢٨٠، ٤٢٩٥، مسلم: ٤٣٨٩، الترمذي: ٣٠٢١، أحمد: ٤/١

إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴿ التوبة/آية ٤٠.

ثم إنه ﷺ يقول لسراقة وقد أوشك على اللحاق بالرسول وأبي بكر في هجرتهما ليدل عليهما ويمسك بهما نظير الجائزة التي وضعتها قريش لذلك، يقول له رسول الله ﷺ: "بأن يرجع وله سوارا كسرى"^٨.

فرسول الله ﷺ يأخذ بالأسباب لتقتدي به صلوات الله وسلامه عليه، فهو ﷺ في الوقت الذي يدعو الله أن ينجيه من طلب كفار قريش له وأن يرد كيدهم في نحرهم، يخرج من بيته ليلاً ويجد الكفار يحيطون بالدار فيقذف في وجوههم التراب^٩. وهو مطمئن إلى استجابة الله له وصرْفهم عنه، وهكذا تمَّ فقد ضرب عليهم النوم وخرج الرسول ﷺ.

فالدعاء لا يعني تعطيل الأخذ بالأسباب بل هو ملازم لها. فمن أحب أن تقام الخلافة من جديد فعليه أن لا يكتفي بدعاء ربه لتحقيق ذلك بل يعمل مع العاملين لإجادها ويدعو الله العون في ذلك والتعجيل بتحقيقها ويلح في الدعاء خالصاً لله وهو يأخذ بالأسباب.

وهكذا في جميع الأعمال، يخلص المرء العمل لله والصدق مع رسول الله ﷺ ويدعو ويلح في الدعاء والله سميع مجيب.

٤. إن الله سبحانه يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، ويجب المضطر إذا دعاه ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ غافر/آية ٦٠ ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ النمل/آية ٦٢.

غير أن الإجابة لها حقيقة شرعية بينها رسول الله ﷺ: "ما من مسلم يدعو الله - عز وجل - بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال: إما أن يعجل الله له دعوته، وإما أن يدرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها. قالوا: إذن نكثر. قال: الله أكثر"^{١٠}.

"لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدعْ بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل. قيل: يا رسول الله، وما الاستعجال؟ قال: يقول قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجاب لي فيتحسر عن ذلك ويدع الدعاء"^{١١}.

٨ الروض الأنف في تفسير سيرة ابن هشام للسيهيلي: ٢/٣٣٣

٩ سيرة ابن هشام: صفحة ٤٨٣

١٠ أحمد: ١٨/٣، الأدب المفرد للبخاري: ٧١٣

١١ مسلم: ٤٩١٨، الترمذي: ٣٣٠٣

وهذا يعني أن إجابة الدعاء ليست بالضرورة تحقيقها في الدنيا، بل قد تكون كذلك أو يدخرها له في الآخرة وهناك الأجر العظيم والثواب الكبير، أو يصرف عنه من سوء مثلها. فنحن ندعو الله سبحانه فإن كنا صادقين مخلصين طائعين نكون موقنين عندها بالإجابة بالمعنى الذي بينه رسول الله ﷺ.

5. ليس معنى استجابة الدعاء تغيير في القدر أو الكتابة في اللوح المحفوظ أو في علم الله، أي لا تعني الإجابة أن الله لم يكن يعلم بدعوة عبده وإجابته لها، وبالتالي لا تكون مسجلة في اللوح المحفوظ.

وعليه فلا يقال كيف يستجيب الله لدعوة عبد وقدّر الله قد تمّ منذ الأزل والكتابة في اللوح المحفوظ قد قضيت؟!

لا يقال ذلك لأن الدعاء وإجابته ليس إنشاءً جديدًا لم يكن الله يعلمه، بل الأمر كما يلي: إن القدر هو علم الله أي الكتابة في اللوح المحفوظ، وكلّ ما هو كائن مكتوب فيه منذ الأزل، فالله يعلم أن فلانًا سيدعوه، فإن كان الله قد قدرّ إجابتها تكتب أن فلانًا سيدعو بكذا وكذا، وإن هذا سيتحقق بكذا وكذا. فالدعاء ليس إنشاءً جديدًا لم يكن في علم الله أو لم يكن مكتوبًا في اللوح المحفوظ، وكذلك الاستجابة بل كلّ ما هو كائن مسجل في اللوح المحفوظ. فالله يعلم الغيب، ويعلم ما يفعله العبد قولًا أو عملاً، وكلّ شيء مكتوب مسبقًا منذ الأزل، فالدعاء الذي يدعوه العبد يعلمه الله ومسجل كما هو، وكذلك إجابته كما يريد الله سبحانه مسجلة منذ الأزل.

فالدعاء والإجابة ليستا فوق علم الله، بل هما مسجلان في اللوح المحفوظ على وجههما كما سيحدثان، فالله عالم الغيب والشهادة ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ سبأ/آية ٣.

6. إن الله سبحانه ذكر آيات الصيام ولكنه فصل بينها بالدعاء، والفصل بين المتلازمين يعني أن هناك أمرًا يراد إبرازه، والحكمة من ذكر الدعاء بين آيات الصيام أن الدعاء في شهر رمضان له شأن عظيم فهو أقرب للاستجابة، فشهر الصوم شهر عبادة خالصة لله، والصائم قريب من ربه مستجاب الدعوة كما في الحديث الشريف: "ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام يوم القيامة وتفتح لها أبواب السماء ويقول: بعزتي وجلالي لأنصركم ولو بعد حين"^{١٢}.

فذكر الدعاء بين آيات الصيام دلالة على الحث عليه في شهر الصوم، وبيان لفضله وبشرى بالإجابة، فالله قريب مجيب. □

- قَالَ لَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: لِأَحَدْتَنَّاكُمْ بِحَدِيثٍ لَا يُحَدِّثُكُمْ بِهِ أَحَدٌ بَعْدِي: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُلُوسًا فَضَحِكَ وَقَالَ: «أَتَدْرُونَ مِمَّ ضَحِكْتُ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «عَجِبْتُ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَقْضِي لَهُ قَضَاءً إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ».

- قِيلَ لِعَائِشَةَ: مَا كَانَ أَكْثَرَ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهِ إِذَا خَلَا؟ قَالَتْ: كَانَ أَكْثَرَ كَلَامِهِ إِذَا خَلَا فِي بَيْتِهِ «مَا يَقْضَى مِنْ أَمْرٍ يَكُونُ»

- عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الصَّبْرُ رِضًا»

- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا ابْنُ ثَمَامِي سِنِينَ،

وَخَدَمْتُهُ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا لَأَمْنِي لِأْتِمُّ مِنْ أَهْلِهِ إِلَّا قَالَ: «دَعُوهُ فَإِنَّهُ لَوْ قُضِيَ شَيْءٌ كَانَ»

- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي وَلَا تُكْثِرْ عَلَيَّ، قَالَ: «لَا تَتَّهِمِ اللَّهَ فِي شَيْءٍ قَضَاهُ لَكَ»

- عَنْ عَبْدِادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ

أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَتَصَدِيقٌ بِرَسُولِهِ وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ» قَالَ: أُرِيدُ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا قَالَ: «لَا تَتَّهِمُهُ فِي شَيْءٍ قَضَاهُ».

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ

إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ أَحْرَضَ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعَانَ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزُ،

فَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنْ لَوْ

تَفَتَّحَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ»

- عَنْ حَفْصِ بْنِ غَمْرٍ، قَالَ: نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رَجُلٍ سَيِّئِ الْهَيْئَةِ وَقَالَ:

«مَا أَمْرُكَ؟ وَمَا شَأْنُكَ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يُهْمُنِي مَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا إِذْ لَمْ أَصْنَعْ فِيهِ، وَيُهْمُنِي

مَا بَقِيَ مِنْهَا كَيْفَ حَالِي؟ قَالَ: «أَنْتَ مِنْ نَفْسِكَ فِي عَنَاءٍ» قَالَ: ثُمَّ لَقِيَهُ بَعْدَ وَقَدْ حَسَنَتْ هَيْئَتُهُ

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَانِي آتٍ فِي الْمَنَامِ، فَوَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيْ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا عَلَى قَلْبِي، ثُمَّ

قَالَ: قُلِ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي نَفْسًا مُطْمَئِنَّةً تُوقِنُ بِوَعْدِكَ وَتَسَلِّمُ لِأَمْرِكَ وَتَرْضَى بِقَضَائِكَ، فَوَاللَّهِ مَا

يُهْمُنِي شَيْءٌ وَلَا بَقِيَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَقَدْ رَأَيْتَ خَيْرًا فَالْزَمِ» □

النَّعْمَانُ بْنُ مَقْرِنٍ الْمَزْنِيُّ

«إن للإيمان بيوتاً وللنفاق بيوتاً،

وإن بيت مقرن من بيوت الإيمان»

[عبد الله بن مسعود]

كانت قبيلة مُزَيْنَةَ تتخذ منازلها قريباً من يثرب على الطريق الممتدة بين المدينة ومكة. وكان الرسول صلوات الله وسلامه عليه قد هاجر إلى المدينة، وجعلت أخباره تصل تباعاً إلى مُزينة مع الغادين والرائحين، فلا تسمعُ عنه إلا خيراً. وفي ذاتِ عَشِيَةِ، جلسَ سيدُ القوم، النعمان بن مقْرِنِ المزني، في ناديه مع إخوته ومشِيخَةِ قبيلته، فقال لهم: يا قوم، والله ما علمنا عن محمدٍ إلا خيراً، ولا سَمِعنا من دعوتِهِ إلا مَرَحمةً وإحساناً وعدلاً، فما بالنا نبطئُ عنه، والناسُ إليه يُسرعون؟! ثم أتبعَ يقول: أما أنا فقد عزمْتُ على أن أغدو عليه - أذهب إليه في الغداة، والغداة: البكرة، وهي ما بين الفجر وطلوع الشمس - إذا أصبَحْتُ، فمن شاء منكم أن يكون معي فليتجهَّز. وكأما مَسَّتْ كلمات النعمان وتراً مرهفاً في نفوس القوم، فما إن طلع الصبحُ حتى وجَدَ إخوته العشرة، وأربعمائة فارسٍ من فرسانِ مُزَيْنَةَ قد جهَّزوا أنفسهم للمَضِيِّ معه إلى يثرب للقاء النبيِّ صلوات الله وسلامه عليه، والدخولِ في دين الله.

بيد أن النعمان استحى أن يفدَ مع هذا الجمعِ الحاشدِ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم دون أن يحملَ له وللمسلمين شيئاً في يده. لكن السَّنةُ الشهباءُ - السنة المُجْدبة التي لا خضرة فيها ولا مطر - المُجْدبة التي مرَّتْ بها مُزينة لم تترك لها ضرعاً - الضرع كناية عن النعم - ولا زرعاً. فطافَ النعمان ببَيْتِهِ وبيوتِ إخوته، وجمَعَ كل ما أبقاهُ لهم القحط من غنيماتٍ، وساقها أمامه وقدمَ بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعلن هو ومن معه إسلامهم بين يديه. اهتزت يثربُ من أقصاها إلى أقصاها فرحاً بالنعمان بن مقْرِنِ وصحبِهِ، إذ لم يسبق لبَيْتٍ من بيوتِ العرب أن أسلمَ منه أحدٌ عشرَ أحاً من أبٍ واحدٍ ومعهمُ أربعمائة فارسٍ، وسرَّ الرسول الكريمُ بإسلام النعمان أبلغَ السرور، وتقبل الله عزَّ وجلَّ غنيماته، وأنزلَ فيه قرآناً فقال:

﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سِذَّخْتُمُ اللَّهَ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٩٩) التوبة: ٩٩.

انضوى - انضم ودخل - النعمان بن مقْرِنِ تحت رايةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهدَ معه غزواته كلها غير وان - غير متراخٍ - ولا مقصرٍ. ولما آلت الخلافة إلى الصديق وقفَ معه هو وقومه من بني مُزَيْنَةَ وقفه حازمة كان لها أثرٌ كبيرٌ في القضاء على فتنة الردَّة. ولما

صارتِ الخِلافةُ إلى الفاروقِ كانَ للنعمانِ بنِ مقرِّنٍ في عهدهِ شأنٌ ما يَزَالُ التاريخُ يذكرُه بلسانِ نديِّ بالحمدِ، رطيبٍ بالثناء. فقبيلَ القادسيَّة، أرسلَ سعدُ بنُ أبي وقاصٍ قائدُ جيوشِ المسلمين وفداً إلى كسرى يَزِدْجَرْدَ برئاسةِ النعمانِ بنِ مقرِّنٍ ليدعُوهُ إلى الإسلامِ.

ولما بلغوا عاصمةَ كسرى في المدائنِ استأذِنوا بالدخولِ عليه فأذنَ لهم، ثم دعاَ الترجمانَ فقالَ له: سلِّمُهم؛ ما الذي جاءَ بكم إلى ديارنا وأغراكمُ بغزونا؟! لعلكم طمِعتمُ بنا واجترأتمُ علينا لأننا تشاغلنا عنكم، ولم نشأْ أن نبطِشَ بكم. فالتفتَ النعمانُ بنِ مقرِّنٍ إلى من معه وقالَ: إن شئتمُ أحببتهُ عنكم، وإن شاءَ أحدكمُ أن يتكلَّمَ أثرتهُ بالكلامِ، فقالوا: بل تكلمْ، ثم التفتوا إلى كسرى وقالوا: هذا الرجلُ يتكلَّمُ بلساننا، فاستمعَ إلى ما يقول.

فحمدَ النعمانُ اللهَ وأثنى عليه، وصلى على نبيه وسلم، ثم قالَ: إن اللهَ رحِمنا فأرسلَ إلينا رسولاً يدلُّنا على الخيرِ ويأمرنا به، ويُعرفنا الشرَّ وينهاها عنه، ووعدنا - إن أحببناه إلى ما دعانا إليه - أن يُعطينا اللهَ خيرِي الدنيا والآخرة. فما هو إلا قليلٌ حتى بدلَ اللهُ ضيفنا سعةً، ودلّتنا عِزَّةً، وعداواتنا إخاءً ومَرَحمةً. وقد أمرنا أن ندعوَ الناسَ إلى ما فيه خيرُهُم وأن نبدأَ بمن يجاورنا. فنحن ندعوكم إلى الدخولِ في ديننا، وهو دينٌ حَسَنُ الحَسَنِ كله وحضُّ عليه، وقبْحُ القبِيحِ كله وحذرٌ منه. وهو يَنْقُلُ مُعْتنقيه - المؤمنِينَ به - من ظلامِ الكفرِ وجوره إلى نورِ الإيمانِ وعدله. فإن أحببتمونا إلى الإسلامِ خلفنا فيكم كتابَ الله وأقمناكمُ عليه، على أن تحكِّموا بأحكامه، ورجعنا عنكم وتركناكم وشأنكم. فإن أبيتمُ الدخولَ في دينِ الله أخذنا منكم الجزيةَ وحَمِيناكم، فإن أبيتمُ إعطاءَ الجزيةَ حاربناكم.

فاستشاطَ يَزِدْجَرْدَ غضباً وغيظاً ممَّا سمعَ، وقالَ: إني لا أعلمُ أمةَ في الأرضِ كانت أشقىَ منكم ولا أقلَّ عدداً، ولا أشدَّ فرقةً، ولا أسوأَ حالاً. وقد كنا نكلُّ أمركم إلى ولاةِ الضواحي فيأخذون لنا الطاعةَ منكم. ثم خففَ شيئاً من حدِّته وقالَ: فإن كانت الحاجةُ هي التي دَفَعْتكم إلى المجيءِ إلينا أمرنا لكم بقوتٍ إلى أن تَخِصَبَ دياركم، وكسونا ساداتكم ووجوهَ قومكم، ومَلَكنا عليكم - ولينا عليكم - ملكاً من قِبَلنا يرفُقُ بكم.

فردَّ عليه رجلٌ من الوفِدِ رداً أشعلَ نارَ غضبه من جديدٍ فقالَ: لولا أن الرُّسُلَ لا تقتلُ لقتلتكم. قوموا فليس لكم شيءٌ عندي، وأخبروا قائِدكم أيُّ مُرسَلٍ إليه «رُستم» - قائدُ جيشِ الفرسِ - حتى يدفنهُ ويدفنكم معاً في خندقِ القادسيَّة - مكانٍ في العراقِ غربيِ النجفِ وقعت فيه المعركةُ الكبرى الفاصلةُ التي دعيت بمِعرِكةِ القادسيَّة -.

ثم أمرَ فأُتِيَ لهُ بِجِملِ ترابٍ، وقالَ لرجاله: حَمَلوه على أشرفِ هؤلاء، وسوقوه أمامكم على مرأى من الناسِ حتى يخرجُ من أبوابِ عاصمةِ مُلْكنا. فقالوا للوفدِ: من أشرفكم؟ فبادرَ إليهم عاصمُ بنُ عُمَرَ وقالَ: أنا.

فَحَمَلوه عليه حتى خرَجَ من المدائنِ، ثم حملهُ على ناقتهِ وأخذهُ معه لسعدِ بنِ أبي وقاصٍ، وبشره بأن اللهَ سَيَفْتِخُ على المسلمينِ ديارَ الفرسِ ويملكُهُم ترابَ أرضهم. ثم وقعتْ معركةُ القادسيَّة، واكتظَّ خندقها بجثثِ آلافِ القتلى، ولكنَّهُم لم يكونوا من جُنْدِ المسلمين، وإنما كانوا من جنودِ كسرى.

لم يستكن الفرس لهزيمة القادسية، فجمعوا جمعهم، وجيشوا جيوشهم حتى اكتمل لهم مائة وخمسون ألفاً من أشداء المقاتلين. فلما وقف الفاروق على أخبار هذا الحشد العظيم، عزم على أن يمضي إلى مواجهة هذا الخطر الكبير بنفسه؛ ولكن وجوه المسلمين ثنوه عن ذلك، وأشاروا عليه أن يرسل قائداً يعتمد عليه في مثل هذا الأمر الجليل. فقال عمر: أشيروا عليّ برجلٍ لأوليه ذلك الثغر. فقالوا: أنت أعلم بجندك يا أمير المؤمنين.

فقال: والله لأوليين على جند المسلمين رجلاً يكون - إذا التقى الجمعان - أسبق من الآسنة، هو النعمان بن مقرن المزني. فقالوا: هو لها. فكتب إليه يقول: من عبد الله عمر بن الخطاب إلى النعمان بن مقرن. أما بعد، فإنه بلغني أن جموعاً من الأعاجم كثيرة قد جمعو لكم بمدينة «نهاوند»، فإذا أتاك كتابي هذا فسر بأمر الله، وبعون الله، وبنصر الله بمن معك من المسلمين، ولا توطئهم وعرّاً فتؤذيهم... فإن رجلاً واحداً من المسلمين أحب إلي من مائة ألف دينار والسلام عليك. هب النعمان بجيشه للقاء العدو وأرسل أمامه طلائع من فرسانه لتكتشف له الطريق. فلما اقترب الفرسان من «نهاوند» توقفت خيولهم، فدفعوها فلم تندفع، فنزلوا عن ظهورها ليعرفوا الخبر فوجدوا في حوافر الخيل شظايا من الحديد تشبه رؤوس المسامير، فنظروا في الأرض فإذا العجم قد نثروا في الدروب المؤدية إلى «نهاوند» حسك الحديد، ليعوقوا الفرسان والمشاة عن الوصول إليها.

أخبر الفرسان النعمان بما رأوا، وطلبوا منه أن يمدّهم برأيه، فأمرهم بأن يقفوا في أماكنهم، وأن يوقدوا النيران في الليل ليراهم العدو، وعند ذلك يتظاهرون بالخوف منه والهزيمة أمامه ليغروه باللاحق بهم وإزالة ما زرعه من حسك الحديد. وجازت الحيلة على الفرس، فما إن رأوا طليعة جيش المسلمين تضي منهزمة أمامهم حتى أرسلوا عمالهم فكنسوا الطرُق من الحسك، فكرّ عليهم المسلمون واحتلوا تلك الدرب.

عسكر النعمان بن مقرن بجيشه على مشارف «نهاوند» وعزم على أن يباغت عدوه بالهجوم، فقال لجنوده:

إني مكبرٌ ثلاثاً، فإذا كبرت الأولى فليتهياً من لم يكن قد تهياً، وإذا كبرت الثانية فليشدد كل رجل منكم سلاحه على نفسه، فإذا كبرت الثالثة، فإني حاملٌ على أعداء الله فاحملوا معي. كبر النعمان بن مقرن تكبيراته الثلاث، واندفع في صفوف العدو كأنه الليث عاديّاً، وتدفع وراءه جنود المسلمين تدفق السيل، ودارت بين الفريقين رحى معركة ضروسٍ قلما شهد تاريخ الحروب لها نظيراً.

فتمزق جيش الفرس شراً ممزق، وملاّت قتلاه السهل والجبل، وسالت دماؤه في الممرات والدروب، فزلق جواد النعمان بن مقرن بالدماء فصرع، وأصيب النعمان نفسه إصابة قاتلة، فأخذ أخوه اللواء من يده، وسجّاه بردة كانت معه، وكتّم أمر مصرعه عن المسلمين. ولما تمّ النصر الكبير الذي سمّاه المسلمون «فتح الفتوح» سأل الجنود المنتصرون عن قائدهم الباسل النعمان بن مقرن، فرفع أخوه البردة عنه وقال: هذا أميركم، قد أقرّ الله عينه بالفتح، وختم

له بالشهادة. □

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ، أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ وَكَانَ عِنْدَهُمْ فِي الْعِزِّ كَأَنْفُسِهِمْ، فَجَعَلَ أَبُو مُسْلِمٍ يَكْبُرُ فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: «أَجَلٌ فَهَكَذَا فَقُولُوا، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا قَضَى قَضَاءً أَحَبَّ أَنْ يُرَضَى بِهِ».

- عَنْ عَلْقَمَةَ، «وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ» قَالَ: «هِيَ الْمُصِيبَةُ تُصِيبُ الرَّجُلَ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَيُسَلِّمُ لَهَا وَيَرْضَى».

- حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ ذَرٍّ، قَالَ: بَلَّغْنَا أَنَّ أُمَّ الدَّرْدَاءِ، كَانَتْ تَقُولُ: «إِنَّ الرَّاغِبِينَ بِقَضَاءِ اللَّهِ الَّذِينَ مَا قَضَى لَهُمْ رَضُوا بِهِ، لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ مَنَارٌ لِيَغْبِطَهُمْ بِهَا الشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

- حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَكِّيُّ، قَالَ: «زَرَعَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ زَرْعًا، فَلَمَّا بَلَغَ أَصَابَتْهُ آفَةٌ فَاحْتَرَقَ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ نُوَاسِيهِ عَنْهُ فَبَكَى وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا عَلَيَّ أَنْبِي وَلَكِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ﴾، فَأَخَافُ أَنْ أَكُونَ مِنْ هَذِهِ الصَّفَةِ فَذَلِكَ الَّذِي أَبْكَانِي».

- عَنْ سِمَاكِ، عَنِ الْأَعْرَضِيِّ قَالَ: نَظَرَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ كَثِيبًا فَقَالَ: «يَا عَدِيُّ، مَا لِي أَرَاكَ كَثِيبًا حَزِينًا؟» قَالَ: «وَمَا يَمْنَعُنِي وَقَدْ قَتِلَ ابْنَايَ وَفُقِّمَتْ عَيْنِي؟» فَقَالَ: «يَا عَدِيُّ، إِنَّهُ مَنْ رَضِيَ بِقَضَاءِ اللَّهِ جَرَى عَلَيْهِ وَكَانَ لَهُ أَجْرٌ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَاءِ اللَّهِ جَرَى عَلَيْهِ وَحَبِطَ عَمَلُهُ».

- عَنْ ابْنِ شَوْذَبٍ، قَالَ: اجْتَمَعَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ فَتَدَاكَّرَا الْعَيْشَ فَقَالَ مَالِكُ: «مَا شَيْءٌ أَفْضَلُ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِلرَّجُلِ غَلَّةٌ يَعْيشُ فِيهَا»، وَقَالَ مُحَمَّدٌ: «طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ عَدَاءً وَلَمْ يَجِدْ عَشَاءً، وَوَجَدَ عَشَاءً وَلَمْ يَجِدْ عَدَاءً وَهُوَ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رَاضٍ»، أَوْ فَقَالَ: «وَاللَّهِ عَنْهُ رَاضٍ».

- قَالَ حَفْصُ بْنُ حُمَيْدٍ: كُنْتُ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ بِالْكُوفَةِ حِينَ مَاتَتِ امْرَأَتُهُ فَسَأَلْتُهُ مَا الرِّضَا؟ قَالَ: «الرِّضَا لَا يَتَمَنَّى خِلَافَ حَالِهِ».

- عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَرْثَانِيِّ، يَقُولُ: «لَنْ يَرِدَ الْآخِرَةَ أَرْفَعَ دَرَجَاتٍ مِنَ الرَّاغِبِينَ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى كُلِّ حَالٍ».

- قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: «مَا أَبَالِي عَلَى أَيِّ حَالٍ أَصَبَحْتُ عَلَى مَا أَحْبَبْتُ أَوْ عَلَى مَا أَكْرَهُ، لِأَنِّي لَا أَذْرِي، الْخَيْرُ فِيمَا أَحْبَبْتُ أَوْ فِيمَا أَكْرَهُ؟».

- قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: «مَا أَبَالِي إِذَا رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي عَلَى أَيِّ حَالٍ أَرَاهُمْ أَبْسَرَاءَ أَمْ بِضَرَاءَ».

وَمَا أَصْبَحْتُ عَلَى حَالٍ فَتَمَنَيْتُ أَنِّي عَلَى سَوَاهَا».

- اشْتَكَى عُمَرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ فَدَخَلَ عَلَيْهِ جَارٌ لَهُ فَاسْتَبْطَأَهُ فِي الْعِيَادَةِ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا نُجَيْدٍ إِنَّ بَعْضَ مَا يَمْنَعُنِي عَنْ عِيَادَتِكَ مَا أَرَى بِكَ مِنَ الْجَهْدِ، قَالَ: «فَلَا تَفْعَلْ فَإِنَّ أَحَبَّهُ إِلَيَّ أَحَبَّهُ إِلَى اللَّهِ، وَلَا تَبْتَسِسْ لِي بِمَا تَرَى، أَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ مَا تَرَى مُجَازَاةً بِذُنُوبٍ قَدْ مَضَتْ، وَأَنَا أَرْجُو عَفْوَ اللَّهِ عَلَيَّ مَا بَقِيَ فَإِنَّهُ قَالَ: ﴿ وَمَا أَصْبَحُكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾».

- قَالَ ابْنُ عَوْنٍ: «ارْضَ بِقَضَاءِ اللَّهِ عَلَيَّ مَا كَانَ مِنْ عُسْرٍ وَيُسْرٍ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ أَقْلٌ لِهَمِّكَ، وَأَبْلَغُ فِيمَا تَطْلُبُ مِنْ آخِرَتِكَ. وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَبْدَ لَنْ يُصِيبَ حَقِيقَةَ الرِّضَا حَتَّى يَكُونَ رِضَاهُ عِنْدَ الْفَقْرِ وَالْبَلَاءِ كَرِضَاهُ عِنْدَ الْغِنَى وَالْبَلَاءِ، كَيْفَ تَسْتَفْضِي اللَّهَ فِي أَمْرِكَ، ثُمَّ تَسْحَطُ إِنْ رَأَيْتَ قَضَاءَهُ مُخَالَفًا لِهَوَاكَ. وَلَعَلَّ مَا هَوَيْتَ مِنْ ذَلِكَ لَوْ وَفَّقَ لَكَ لَكَانَ فِيهِ هَلَكَتُكَ، وَتَرَضَى قَضَاءَهُ إِذَا وَافَقَ هَوَاكَ وَذَلِكَ لِقَلَّةِ عِلْمِكَ بِالْغَيْبِ وَكَيْفَ تَسْتَفْضِيهِ. إِنْ كُنْتَ كَذَلِكَ مَا أَنْصَفْتَ مِنْ نَفْسِكَ وَلَا أَصَبْتَ بَابَ الرِّضَا».

- حَدَّثَنَا سَبْرَةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ سَبْرَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا هَلَكَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَسَهْلُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَمَرَّاحِمُ مَوْلَى عُمَرَ فِي أَيَّامِ مُتَتَابَعَةِ دَخَلَ عَلَيْهِ الرَّبِيعُ بْنُ سَبْرَةَ فَقَالَ: عَظَّمَ اللَّهُ أَجْرَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَمَا رَأَيْتَ أَحَدًا أُصِيبَ بِأَعْظَمَ مِنْ مُصِيبَتِكَ فِي أَيَّامِ مُتَتَابَعَةٍ، وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَ ابْنِكَ ابْنًا، وَلَا مِثْلَ أَخِيكَ أَخًا، وَلَا مِثْلَ مَوْلَاكَ مَوْلَى قَطُّ. فَطَاطَأَ رَأْسَهُ، فَقَالَ لِي رَجُلٌ مَعَهُ عَلَى الْوَسَادِ: لَقَدْ هَيَّجَتْ عَلَيْهِ. قَالَ: ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «كَيْفَ قُلْتَ لِي يَا رَبِيعُ؟» فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ مَا قُلْتُ أَوْلًا فَقَالَ: «لَا وَالَّذِي قَضَى عَلَيْهِ (أَوْ قَالَ: عَلَيْهِمُ) الْمَوْتَ، مَا أَحِبُّ أَنْ شَيْئًا كَانَ مِنْ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ».

- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: أَخْبَرَنِي زِيَادُ بْنُ أَبِي حَسَّانَ، أَنَّهُ شَهِدَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ حِينَ دُفِنَ ابْنُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ قَالَ: فَلَمَّا سُويَ عَلَيْهِ قَبْرُهُ بِالْأَرْضِ، وَجَعَلُوا فِي قَبْرِهِ خَشَبَتَيْنِ مِنْ زَيْتُونٍ، إِحْدَاهُمَا عِنْدَ رَأْسِهِ وَالْأُخْرَى عِنْدَ رِجْلَيْهِ، ثُمَّ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَبْلَةِ، ثُمَّ اسْتَوَى قَائِمًا وَأَحَاطَ بِهِ النَّاسُ، فَقَالَ: «رَحِمَكَ اللَّهُ يَا بُنَيَّ، فَقَدْ كُنْتُ بَرًّا بِأَبِيكَ، وَمَا زِلْتُ مُنْذُ وَهَبَكَ اللَّهُ لِي مَسْرُورًا بِكَ، وَلَا وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَشَدَّ سُرُورًا وَلَا أَرْجَى لِحَظِّي مِنَ اللَّهِ فِيكَ مُنْذُ وَضَعْتَكَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي صَيَّرَكَ اللَّهُ، فَرَحِمَكَ اللَّهُ وَعَفَّرَ لَكَ ذَنْبَكَ، وَجَزَاكَ بِأَحْسَنِ عَمَلِكَ وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئِهِ، وَرَحِمَ كُلَّ شَافِعٍ يَشْفَعُ لَكَ بِخَيْرٍ مِنْ شَاهِدٍ وَعَائِبٍ، وَرَضِينَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَسَلَّمْنَا لَأَمْرِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» ثُمَّ انْصَرَفَ.

- حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، أَنَّ بَعْضَ أَهْلِهِ اشْتَكَى فَوَجَدَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَخْبَرَ

مَمَاتِهِ فَسَرِّي عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ فَقَالَ: «نَدَعُو اللَّهَ فِيمَا نُحِبُّ، فَإِذَا وَقَعَ مَا نَكْرَهُ لَمْ نُخَالِفِ اللَّهَ فِيمَا أَحَبَّ».

- حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْمُخْزُومِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ نَافِعٍ، عَنْ جَسْرِ، عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ قَيْسٍ، قَالَ: «مَا أَبَالِي مَا فَاتَنِي مِنَ الدُّنْيَا بَعْدَ آيَاتِ فِي كِتَابِ اللَّهِ قَوْلُهُ: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٦)، وَقَوْلُهُ: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٧).

- عَنْ أَبِي عَلِيِّ الرَّازِيِّ، قَالَ: صَحِبْتُ فَضِيلَ بْنَ عِيَاضٍ ثَلَاثِينَ سَنَةً مَا رَأَيْتُهُ ضَاحِكًا وَلَا مُبْتَسِمًا إِلَّا يَوْمَ مَاتَ عَلِيٌّ ابْنُهُ فَقُلْتُ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَحَبَّ أَمْرًا فَأَحْبَبْتُ مَا أَحَبَّ اللَّهُ».

- قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِقِسْطِهِ وَحِلْمِهِ جَعَلَ الرَّوْحَ وَالْفَرْحَ فِي الْيَقِينِ وَالرِّضَا، وَجَعَلَ الْهَمَّ وَالْحَزْنَ فِي الشُّكِّ وَالسُّخْطِ».

- قَالَ الْحَسَنُ: «مَنْ رَضِيَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ، وَسِعَهُ وَبَارَكَ اللَّهُ لَهُ فِيهِ. وَمَنْ لَمْ يَرْضَ لَمْ يَسِعْهُ وَلَمْ يُبَارَكَ لَهُ فِيهِ». - عَنْ جُوَيْرِيَةَ بْنِ أَسْمَاءَ، عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: اشْتَكَى ابْنُ لِعْبِدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، فَاشْتَدَّ وَجْدُهُ عَلَيْهِ حَتَّى قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: لَقَدْ خَشِينَا عَلَى هَذَا الشَّيْخِ أَنْ يَحْدُثَ بِهَذَا الْغُلَامِ حَدَثٌ، فَمَاتَ الْغُلَامُ، فَخَرَجَ ابْنُ عُمَرَ فِي جَنَازَتِهِ وَمَا رَجُلٌ أَبَدَى سُورًا مِنْهُ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «إِنَّمَا كَانَ رَحْمَةً لَهُ، فَلَمَّا وَقَعَ أَمْرُ اللَّهِ رَضِينَا بِهِ».

- عَنْ زِيَادِ بْنِ زَادَانَ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: «مَا كُنْتُ عَلَى حَالَةٍ مِنْ حَالَاتِ الدُّنْيَا فَسَرَّنِي أَيْ عَلَى غَيْرِهَا».

- سَمِعْتُ أَبَا سُلَيْمَانَ يَعْنِي الدَّارَانِيَّ، يَقُولُ: «مَا أَعْرِفُ لِلرِّضَا حَدًّا، وَلَا لِلزُّهْدِ حَدًّا، وَلَا لِلْوَرَعِ حَدًّا، مَا أَعْرِفُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا طَرِيقَهُ» قَالَ أَحْمَدُ: فَحَدَّثْتُ بِهِ سُلَيْمَانَ ابْنَهُ فَقَالَ: لَكِنِّي أَعْرِفُهُ: «مَنْ رَضِيَ فِي كُلِّ شَيْءٍ فَقَدْ بَلَغَ حَدَّ الرِّضَا، وَمَنْ زَهَدَ فِي كُلِّ شَيْءٍ فَقَدْ بَلَغَ حَدَّ الزُّهْدِ، وَمَنْ تَوَرَّعَ فِي كُلِّ شَيْءٍ فَقَدْ بَلَغَ حَدَّ الْوَرَعِ».

أوباما يضع النقاط على الحروف بشأن علاقته بأوروبا والإسلام!

أجرى الرئيس الأمريكي باراك أوباما لقاء مطولاً مع مجلة «أتلانتك مونثلي» خرج فيه عن تحفظه المعهود في تصريحاته، ببيان موقفه من قضايا متعددة في العالم بشكل مباشر، نسرده أبرزها:

- شن أوباما هجوماً لاذعاً على رئيس الوزراء البريطاني ديفيد كامرون؛ لأنه سمح للوضع في ليبيا بالتدهور. [الوعي تسأل: لماذا يلوم بريطانيا تحديداً؟! وليس هذا إقرار ضمنى بأن بريطانيا هي سيدة اللعبة هناك؟!]

- قال أوباما «عندما أعود إلى نفسي وأفكر في الموضوع، أجد أن هناك مساحة للنقد؛ لأنني آمنت بالأوروبيين؛ نظراً لقربهم من ليبيا»، ووصف أوباما بعض الدول الأوروبية ودول الخليج بأنها لم تكن مستعدة للمساهمة، رغم معرفتها بخطر معمر القذافي، وقال إنهم «ركاب بالمجان»، مشيراً إلى أنه كان واضحاً في إجباره كامرون على زيادة نسبة الإنفاق الدفاعي التي يتطلبها الناتو بنسبة ٢٪، وعلق أوباما قائلاً إن «الركاب المجانيين يزعجونني»

- أشار أوباما إلى خيبة أمله من حكام منطقة الشرق الأوسط، بخاصة رئيس وزراء (إسرائيل) بنيامين نتنياهو، الذي عبر أوباما عن الانزعاج من محاولاته الدائمة للمحاضرة عليه، وإشعاره بأنه لا يعرف شيئاً عن مشكلات المنطقة، كما عبر عن خيبة أمله من الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، الذي يراه مستبدًا وفاشلًا.

- أفاد أوباما بنحوق السياسة الخارجية الأمريكية الإيجابية تجاه إيران، ما شكل حرجاً واضحاً لواشنطن مع «الحلفاء التقليديين» من العرب، الذين انتقدوا محاولة استخدام القوة الأمريكية لخدمة مصالح أميركا فقط، مهمة مصالحهم رغم اعتبار أميركا لهم حلفاء لها! إلا أن أوباما - بحسب المجلة - سعد من النبرة الناقدة للسعودية، مذكراً بأن منفذي هجمات ١١/٩ كانوا سعوديين في الغالب وليسوا إيرانيين، كما انتقد أوباما طريقة معاملة المرأة في السعودية، قائلاً: «يمكننا قياس نجاح المجتمع من خلال الطريقة التي يعامل فيها المرأة».

- اعترف أوباما بفشله في تحقيق ما أراده من خطاب جامعة القاهرة الشهير، حيث قال إنه حاول إقناع المسلمين بالبحث في جذور تعاستهم، ويقول: «ما كنت أود قوله: دعونا نتوقف عن التظاهر بأن سبب مشكلات الشرق الأوسط هي إسرائيل»، وأنه حاول إثارة نقاش يفتح مجالاً للمسلمين كي يواجهوا المشكلات الحقيقية، مشكلات الحكم، وحقيقة أن بعض تيارات الإسلام لم تتعرض للإصلاح بدرجة تساعد المسلمين لتكثيف عقيدتهم كي تتواءم مع الحداثة».

- كشفت المجلة عن أنه «في الوقت الذي يتجنب فيه أوباما الحديث عن صدام الحضارات وإثارة الحساسية ضد المسلمين، إلا أنه في أحاديثه الخاصة مع قادة الدولة يعترف بأن لا حل جذرياً للإرهاب الإسلامي)، حتى يتواءم الإسلام مع الحداثة، وحتى يمر بحركة إصلاح كتلك التي غيرت المسيحية».

الوعي: يتضح من خلال لقاء أوباما مع «أتلانتك مونثلي» أن أوروبا وأميركا في حالة تنافس حول الهيمنة والمصالح إلى درجة التنافر أحياناً. إلا أن المؤكد كذلك أنهما دائماً على قلب شيطان واحد في ضرورة التصدي للإسلام، والعمل على تغيير أفكاره وأحكامه واستبدالها بـ «إسلام علماني» حدثي كما حصل للنصرانية سابقاً. □

ديلي بيست: هذه خطة أوباما (الخطة باء) لتقسيم سوريا

نشر موقع «ديلي بيست» الأميركي تقريرًا حول آخر المستجدات في سوريا، أشار فيه إلى أن تحذير وزير الخارجية الأميركي جون كيري من «أن تداعيات فشل الهدنة التي تمت الموافقة عليها مع روسيا ستؤدي إلى أن سوريا التي نعرفها الآن قد تنهار»، وبالتالي فإن الدولة التي نشأت بعد الحرب العالمية الأولى وانهيار الدولة العثمانية، ستتحول إلى كانتونات ودول مثل البلقان. وقد استعرض التقرير مجموعة من المعطيات التي نلخصها فيما يلي، والتي تجعل مشروع التقسيم أمرًا محتملاً، بل قد يكون جزءًا من خطة تم العمل على تنفيذها منذ أمد.

- يؤمن وزير الخارجية الحالي أن التقسيم هو الحل الوحيد المتبقي لسوريا إذا انهار وقف إطلاق النار، حيث ذكر كيري في شهادته أمام لجنة الشؤون الخارجية في الكونغرس: «لن أجزم أن هذه الهدنة وما يرافقها من عملية سياسية ستنتج؛ لأنني لا أعرف، ولكنني أعرف أن هذه هي الطريقة الفضلى لإنهاء الحرب، وهي البديل المتوفر إن إردنا تحقيق تسوية سياسية. وأن سوريا التي نعرفها قد تنهار وتتمزق وتتحول إلى كانتونات تحكم بأمراء حرب من جماعات «إرهابية» أو طائفية، أو وكلاء دول خارجية يخوضون حروبًا بالنيابة عنها».

- إن تغيير التشكيل السكاني الجاري في سوريا منذ سنوات، إن لم يكن ضروريًا وشرطًا للتقسيم، فهو ما يمكن اعتباره الخطة الأميركية البديلة (خطة باء)، في حال فشل اتفاق وقف إطلاق النار، وفشل التسوية التي ترعاها أميركا وروسيا، والسؤال فيما إن كانت خطة التقسيم هذه عرضية جراء المستجدات، أم أنها مقصودة أصلاً وصممت بعناية من قبل!؟

- إن رؤية أوباما لنهاية اللعبة السورية تتجسد بالاعتراف بأنها محمية إيرانية متجاورة مع لبنان، وأن المعادلة التي طبقها أوباما في العراق يحاول تجريبها في سوريا، وهي الاعتراف بمحور تأثير إيراني، يتعاون مع المحور الكردي المدعوم من الولايات المتحدة، ويلاحظ التقرير أن هذا المحور في سوريا معاد لتركيا، وأن بين المحورين الإيراني والكردي هناك محور حرب سني.

- إن السياسة الأميركية إزاء سوريا تجلت بشكل أكثر وضوحًا بعد تخلي أوباما عن الخط الأحمر في سوريا، وذلك عندما تجاوزه الأسد واستخدم السلاح الكيماوي، بالإضافة إلى قلة تقديم السلاح للجيش السوري الحر، والتخلي عن فكرة «رحيل الأسد»، التي كانت شرطاً رئيسياً -مفترضاً- للحل السياسي.

ويخلص التقرير إلى أن ورقة أصدرتها مؤسسة «راند» للأبحاث دعت، مثل خطة كيري، إلى وقف إطلاق النار على مستويات عدة، تشرف عليه الولايات المتحدة وروسيا وإيران، وتتبع هذا خطوة لإنشاء «محاوٍ متفق عليها»، وهي كلمة للتعبير بشكل مؤدب عن محاور التأثير الاستعماري لإدارة سوريا أو الانتدابات المصغرة، وستكون هناك ثلاث مناطق مجاورة، وبعضها يشبه غزة والضفة الغربية في فلسطين، منفصلة عن بعضها، إلا أن هناك محاور ستكون مندمجة بعضها مع بعض. ويذكر التقرير أن محور النظام سيمتد على طول ساحل البحر المتوسط ومن جنوب الحدود التركية وعبر دمشق وحمص. أما المحور الكردي فسيضم منطقة «روجوفا»، وأما منظمات المعارضة السورية، التي تضم جبهة النصرة وأحرار الشام وجماعات سلفية أخرى، فستقيم في مناطق غير متجاورة، مثل إدلب وحلب وحمص ودرعا في الجنوب. وهناك محور رابع، وهو منطقة سيطرة تنظيم الدولة في الرقة ودير الزور وتدمر. وستتم إدارة مناطق التنظيم دوليًا بعد طرده منها.

الوعى: يعلم الغرب أن فكرة التقسيم مرفوضة لدى شعوبنا؛ لذلك بدأ يروجون لفكرة الفدرالية كمشروع سياسي جدي (روسيا نادى به، والآن ديمستورا يسوق له)، يكررونه على مسامع الجميع كي يعتاد الناس عليه، فإذا قبلوه أصبحت فكرة التقسيم مستساغة. إنه مشروع الدول الطامعة لتقسيم بلادنا مناطق نفوذ لها؛ لنهب ما فيها من خيرات فيما بينها، ولمنع المسلمين من تحقيق مشروعهم بإقامة دولة الخلافة الراشدة... قاتلهم الله أئى يؤفكون. □